في تلك الليلة

في تلك الليلة

نانسى خالد

- رقم الإيداع:
- الترقيم الدولي:
- تصميم الغلاف: يوسف السيد
- تنسيق داخلي: عبدالعليم مِنا
- الطبعة الأولى 2021

الناشر: نبوغ للنشر والتوزيع

http://www.nebogh.com/

المدير العام: مروة المصري

darnebogh@gmail.com

01100528522

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر والتوزيع

في تلك الليلة

رواية

نانسي خالد

دار نبوغ للنشر والتوزيع

الأحداث في تلك الرواية خيالية وأعتذر عن أي خطأ قد يتســـــــلل لحروفهـــــــا.

إهداء أول

إلى من استودعتها عند الله .. رحيلك لم يكن بالهيّن ومازال صداء نصحيتك تتردد في أرجاء عقلي ولكن لا تقلقي سيكون سرًا لا يعلمه أحد من بنى آدم .. دُمتى بخير في جنته .. رحمك الله أنتِ وجميع مَن رحل ....

جدتي العزيزة

إهداء ثانٍ

إلى مَن يبحث عن ما يصف ألمه فأخبرك عزيزي أنّ لغة الضاد كفيلة لتكون خير رفيق ونعمَ حبيب ..

إلى مَن لم يذق سوى مُر الخُذلان ومازال الحبور لوجهه عُنوانًا ..

إلى المنطفئ والعاجز عن البوح والظالم والمذنب والخائن والوحيد والمتألم والصامت والمنتظر والراحل والهارب ... لتكون تلك سبيل آخر للهروب من ضجيج العالم ...

إليكِ :
كان الرحيل يُنسب إلى إسمك ولكني من
رحلت ...

يصعد ويهبط صدرها كما اعتادت أن تفعل قبل أي هجوم لها .. تحمل مسدسها في وضع الإستعداد و عندما شعرت به يقترب .. التفت بخفة لتفقده الوعي بضربة واحدة من سلاحها وكان مصير العديد مثله فمات حوالي اثنا عشر وأُصيب عشرون .. لم تكن قاسية القلب ولكن طبيعة عملها تُرغمها على ذلك .. فعلت ذلك لتصعد ذلك المبني وهيّ تظن أن تلك القضية التي دامت لشهور ستنتهي هنا ....

تقف خارج الغرفة في وضع تأهب يجاورها سالم صديقها الوفي و زميلها في تلك العملية فدخلت في حذر :

ارفع يديك سريعًا ولا خيار لك سوى الإستسلام .

ضمت حاجبيها بتساؤل لأنها رأت هدفها الأشقر وهو يجثو على الأرض مستسلمًا وكأنه يستقبلها جاهزًا وهيّ على أكمل وعي أنّ لا أحد من الشرطة أو الأمن سبقها فكانت الأولى يليها سالم وبقية الفرقة

أتى صوت طلق ناري من خلفها لتجد سالم يهوى ساقطًا على الأرض فصرخت بإسمه وإقتربت منه وهيّ تجثوليُشير لها بعينيه بوجود أحد خلفها وأغمضت عينيها بشدة عندما سمعت صوت شد أجزاء السلاح لتفتحهما وتلتف مسرعة لتنهض بقوة موجهة سلاحها نحو رأسه وبدوره هو الآخر يوجه سلاحه نحو رأسها بحزم .

" أشعر برعشة تسري في جسدي بأكمله مصدرها القلب و كأن داخلي يذوب بالنار بعد أن كانت حرارته أقل من مئة درجة مئوية .. كم مرَّ من الشهور أو السنين ؟ .. كم مرة تقطع نَفَسي واحترقت روحي ؟ .. كم عانيت وتخليتُ لأصل إلى ما أنا عليه الآن ؟ .. أعتذر ولكنّ الأمر قد انتهى ومهما فعلت فلن تدمر سعادتي وتهدم

حياتي رأسًا على عقب .. سأقتلك كما قتلتني برحيلك وكما قتلت أنا تلك البريئة الساذجة بداخلي .. حُسم الأمر "

لم يقدر فأخفض سلاحه وشدّت هيّ أجزاء السلاح عليه بعينين لا ترمشان او تدمعان على الأقل .. قبل الإطلاق بثوانٍ أوقفها العميد طارق :

ـ رحيل .. أخفضي السلاح إنه من المخابرات المصرية والذي كان يعمل جاسوسًا لدى الأشقر لصالحنا وهو مَن ساعدنا في الوصول هنا .

لم تخفض السلاح بل أحكمت القبض عليه بيديها الأخرى وتنظر له بشدة وكأن الرصاص سيخرج من عينيها لا من السلاح وقد كان العميد يقف بذهول رافعًا حاجبيه من شدة إصرارها فصرخ لها بقوة عندما قللت المسافة بين السلاح وتميم :

ـ رحيل .. توقفي إنه ليس الأشقر ..

عندما شعرت أنها فقدت السيطرة على يدها وأنها ستضغط الزناد لا مُحالة .. أدارت يدها وأطلقت النار على الأرض بدون أن تزيح نظرها عنه ثم اقتربت منه وبهمس لا يسمعه سواه :

ـ لن يقتلك أحد سواي .

نيابة أمن الدولة العليا

بعد يومين :

ـ الأشقر .. أكبر مروج أسلحة ومخدرات في الوطن العربي .. تم القبض عليه بواسطة المقدم رحيل والمقدم سالم بجانب الفريق الخاص بهم وبمساعدة أحد

العملاء من المخابرات المصرية والذي كان يعمل لديه لصالحنا .. سيم التحقيق مع الأشقر لمعرفة ماهية العملية التي تُدعى ب " الأمس " والتي تم اكتشافها في البناء الخاص بالأشقر .. التحقيق مستمر و سنحاول إنهاء عملية الأمس قبل أن تبدأ .

إنتهى الإجتماع وتوجه كلًا إلى مصالحه والعميد طارق يستشعر ملف القضية بأنامله والفضول يأكله لمعرفة ماهية عملية الأمس وقد قرر التوجه إلى قسم التحقيق ليرى آخر المستجدات .

قسم التحقيق .... المباحث

خبر عملية الأمس أشاع القلق والفزع بداخل الجميع عدا الأشقر الذي يرفض التحدث وتحتل وجهه ابتسامة باردة رسمها متعمدًا فقط ليثير أعصاب الجميع وخاصةً رحيل التي لم يتبقى سواها لم تذهب للتحقيق معه كي لا تفقد السيطرة على غضبها وتؤذيه ولكنها راقبته طوال يومين ولم تغفل عن حركاته للحظة واحدة آملةً في إيجاد أي دليل يساعدها في معرفة ماهية عملية الأمس اللعينة ..

تتناول القلم بيدها وتحركه وهيّ تفكر محاولة استنتاج أي شئ وإنتهى بها الأمر لعدة إحتمالات غير مؤكدة فلا تملك دليلًا ملموسًا دون أن ينطق الأشقر بأي شئ ولا يوجد في المكتب الخاص به في ذاك المبنى سوى اسم عملية الأمس فقط فتم حذف كل المعلومات و الدلائل والبصمات....

نهضت لتسير في غرفة مكتبها قليلًا وذهبت لتحضر قهوة للمرة الثالثة ولا تهمها نسبة الكافيين في جسدها فقط أدمنتها هيّ والموسيقي الهادئة و رائحة الياسمين واللون الأبيض فلا تستطيع أن تفكر بعمق سوى معهم ....

تعمدت أن تُغرق نفسها بأي شئ وكل شئ كي لا تفكر ولو لثانية واحدة في تميم فلا وقت لها كما أنها لم تعُد تؤمن بالحب فقط تأخر كثيرًا وفات آوانه ... وصلت لغرفة التحقيق مع الأشقر مع قهوتها وتفوح منها رائحة الياسمين التي تنبه على وجودها فيعلم الجميع أنها هنا ومن ثم إتسعت حدقتا عينيها عندما ترى تميم للمرة الثانية مع العميد طارق فتقترب منهما بغضب حارق مغلف ببرود مثلج كي لا تُثير الريبة ...

تقترب منهما بهدوء وثقة :

العميد طارق لتميم : لم يحدث أي مستجدات ولم ينطق الأشقر بشئ وقد طلبتك كي تتحدث معه بطريقته فقد قضيتُ أشهر معه و... ياسمين ..

تميم : ياسمين !

طارق : رحيل آتية..

رحيل : بل أتت ... ما الذي يحدث هنا ؟

طارق : استدعيت تميم كي يتحدث مع الأشقر و...

رحيل : يتحدث ! لا نحتاجه ..

سارت بضعة خطوات ثم توقفت عندما :

طارق : نحتاجه .. لم ينطق الأشقر بأي شئ ومرّ يومان .. أعلم أنها قضيتك ولكن تحتاجين المساعدة

رحيل بحزم : لا احتاج .. لم احقق معه بعد ..

تميم : لماذا ...؟

نظرت له بقوة مرة أخرى ولم تجب فأجاب طارق :

طارق لتميم : رحيل لا تتحكم بغضبها ..

رحيل بإستنكار : بلى ..

طارق : ستؤذيه ..

رحيل بغضب صغير : لن أفعل ..

قبل أن ينطق أحدهم بشئ وضعت قهوتها على الطاولة ودخلت غرفة التحقيق وطارق يستعجب من عنادها ..

تميم وطارق في غرفة المراقبة ورحيل مع الأشقر في الغرفة :

ـ مرحبًا ..

ـ هل انتهى الجميع ولم يتبقى سواكِ ؟

ـ لسوء حظك ..

ـ ماذا تريدين ؟

ـ ما تريده أنت وذلك الشئ الوحيد الذي نتفق عليه ..

ـ ما الذي أريده إذًا ؟

ـ انتهاء القضية ..

ـ لم تغادري المكتب منذُ يومين صحيح ؟

ـ ماذا تعني ؟

ـ لأنه إذا خرجتِ لم تكوني ستجلسين أمامي حية تُرزقي .

ابتسم طارق من غرفة المراقبة بعد أخذ أول معلومة عنه :

ـ إذاً هناك من يحميك ؟

ـ بالطبع لا ..

بإبتسامة صفراء أردفت رحيل :

ـ خرجت من قسم التحقيق مرتين ولم يقدر أحد على إيذائي وإذا كان يوجد من يحميك ألا يستطيع الدخول للقسم وقتلي بالداخل ؟ ... لم أتخيل أنكم بذلك الضعف

ـ بلى لسنا كذلك ولكن.....

ـ لسنا ! ألم تقل أنه لا يوجد من يحميك ؟

الأشقر بغضب :

ـ من أنتِ ؟

اقتربت منه رحيل ببرود لتثير غليل أعصابه وتنعكس الآية عليه :

ـ كابوسك الأسود .. ألا يظهر عليّ ؟

ـ .....

ـ إهدأ ...لا مفر لك مني سوى الإعتراف ..

ـ اعتراف ! .. لم أفعل شئ لأعترف به ..

ـ بربك ... لست في حالة تسمح لكَ بالكذب

نهض بثوران وغلت دماؤه وضرب بيديه على الطاولة :

ـ ستموتين بحالة خروجك من القسم وثِقي لن تستطيعى النجاة ..

فهمت رحيل أنّ الأمر فار به ولن ينطق بأي شئ ولذلك خرجت وتركته يحترق بغضبه وذهبت إلى غرفة المراقبة مسرعةً ولم تجيب على تميم أو طارق وتوجهت بالسؤال لكريم من يقوم بتسجيل التحقيق ويراقب هو أيضًا :

ـ من الذي قام بالتفتيش عند دخوله القسم ؟

كريم : فرقة من فرق مدير الأمن ..

خرجت من الغرفة يتبعها طارق وتميم :

طارق : رحيل ... ما الذي يحدث ؟

رحيل : يوجد من يثق بهم ويحمونه وبالتأكيد يمتّون بعملية الأمس بصلة وأعتقد أنه يتواصل مع أحدهم عن طريق شئ مخفى مرّ في التفتيش ولذلك سيتم إعادة التفتيش بعناية أكبر و تبديل ملابسه مرة أخرى وإقامة العديد من أنواع الأشعة على جسده .

طارق : حسنًا ..

تميم : هل حاولتي الخروج من قسم التحقيق ؟

لم تجب عليه وذهبت لغرفة مكتبها مع قهوتها الباردة وذهب طارق إلى فرق الأمن يخبرهم بالمستجدات ويعطي إذن الأوامر الجديدة و تميم يجاوره وبعد أقل من نصف ساعة .. سمع الجميع صوت الإطلاق الناري خارج القسم وأدرك طارق أنّ رحيل لم تخرج من قسم التحقيق أبدًا والآن وتم إختاطفها بالفعل وتوارت السيارة عن الأنظار وكأنها لم تكن موجودة قبل دقائق ....

بينما تميم في أشد حالة من الذعر ويرغب بمشاهدة كاميرات المراقبة واللحاق بهم .. كان طارق باردًا بشدة وعندما غضب عليه تميم أخبره :

ـ لم يكن ذلك فخ لرحيل بل لهم ..

ـ كيف ؟

ـ رحيل تركت وراءها أثر كي نلحق نحن بها ولكن ليس الآن .. سنرسل سيارة صغيرة بها العديد من الجنود كي لا نثير الريبة وبعد قليل سنذهب نحن .

ـ ولكنها أُصيبت !

ـ ترتدي واقي الرصاص ..

ـ ما هو الأثر ؟

ـ تناولت وحدة جهاز GPS مصغرة ..

ـ تناولت !

ـ يلتصق بجدار المعدة ولا يتحرك ..

ـ كيف ... وحدها .. ؟

ـ تميم ... رحيل أقوى منك ومني وإن لم نتبعها .. ستأتي قريبًا وبيدها الدليل الذي سيُنهي القضية بجلسة واحدة ..

تميم يحاول إستيعاب مقدار القوة الذي باتت صغيرته تتمتع بها ولا يصدق أنّ من يراها الآن هي نفسها التي كانت تخاف الظلمة منذُ تسع سنوات ...!

****

هل يمكن أن نقع في الحب مرتين ؟.
لا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين ..

رحيل

الإنتظار يقتل كل شئ .....

يوم رأيته لم أشعر بالألم أو الحزن أو الرغبة في البكاء فقط غضب ، لم يكن له نهاية ولكني أعلم أنّ بدايته كانت في تلك الليلة .....

دخلتُ لغرفة مكتبي وارتديت واقي الرصاص وتأكدت من وجود سلاحي خلف خصري وذهبت لأصبُ غضبي من رؤية تميم على مَن يستحق ...

بمجرد خروجي بدأت سيارة مسرعة بإطلاق النار ولاعترف لم أكن أتخيل أنّ الأمر سيكون بتلك السرعة والسهولة ثم اصابتني واحدة وحاولت أن أفقد وعيي دراميًا كي أزيد من اقناعهم بنجاح خطتهم الساذجة ثم حملني أحدهم وبدأت الرحلة ...

كنتُ أشعر بهم وتم أخذ سلاحي وتكبيلي بشدة ثم لاحقتنا سيارة ثم جرى إطلاق ناري بسيط ومن ثم هدأت الأوضاع ثم وضع أحدهم وشاح أسود ولكن لم يفرق كثيرًا فمن المفترض أني فاقدة الوعي وفكرتُ قليلًا لماذا من المهم إختطافي ؟ .. هل لأنها قضيتي أم بسبب أنّ الأشقر بحوزتي ؟ ..

بعد ثلاث ساعات تقريبًا وأنا في أشد حالة من الملل وتأكدت إن كنت فاقدة للوعي سيكون الأمر أكثر متعة وأخيرًا توقفت السيارة وترجل منها حوالي شخصان الذين سمعت أصوات أقدامهم ولم أعلم هل تلك الوجهة التي انتظرتها أم لا ؟ ولكن حدسي أمرني بالإنتظار و ركب إثنان آخرين .. اختلفت أصواتهم وخطواتهم و تحركت السيارة مرة أخرى وسمعت حديثهم :

ـ لماذا لم تستيقظ إلى الآن ؟ ... كل ما في الأمر أنها رصاصة مخدر ...

ـ كان يجب أن تستيقظ منذُ ساعة فإقتربنا من المخزن ..

ـ جيد .. لم نضطر لإعطائها المخدر .

لم أفهم تلك النقطة .. هل جيد لهم أم لي ؟ .. إذا استيقظتُ الآن سأُحقن بمخدر ولن أكون بوعيي وإذا لم أستيقظ سيُزرع داخلهم شك إتجاهي .. فضّلت أن لا أتحرك حتى نصل ....

مرّ ساعة كنتُ أحاول بها أن أرخي قيدي وتوقفت السيارة وسحبني أحدهم بشدة منها و وقعتُ أرضًا ثم سمعت صوت شد أجزاء السلاح .....

اللعنة ...

فككتُ قيدي بثانية وأزلتُ الوشاح الأسود واقفةً وثم وجدتُ رجل طويل ضخم ويشبه الأشقر إلى حد كبير يوجه نحوي سلاحه بإبتسامة ساذجة وألقيتُ نظرة خاطفة على المكان ...

فسيح أسود قليل الضوء به بعض الصناديق مختلفة الأحجام وسُلم لأعلى وباب سيارات وآخر عادي كالجراج أو المخزن ...

أعدتُ النظر له فقال لي بعد خفض سلاحه وهو يتحرك حولي بكل مكان :

ـ بمساعدة خائننا تميم استطعتِ الوصول للأشقر وقتلتِ عدد كبير من رجاله وقمتِ بالقبض عليه وإكتشفتِ عملية الأمس ونجحتِ في التحقيقات معه .. ولكن ما دافعك من محاولة قتله ؟

ـ لم احاول قتله ..

ـ لماذا أصدقك ؟

ـ لا تصدق أو صدق .. لا يهمني الأمر ولكن اعلم أني لو أردت قتله لفعلت .....

ـ هل لديكِ عائلة ؟

ـ ألا تعتقد أنّ التهديد بالعائلة أصبح قديمًا ؟

ـ قديمًا ولكنه مؤلم ..

ابتسمت له بإستفزاز واقتربتُ منه :

ـ إذا استطعتُ الوصول لعائلتي .... أرسل لهم سلام

ـ من أنتِ ؟

ـ كابوسك الأسود ... ألا يظهر عليّ ؟

ـ مثلما قلتِ للأشقر ..!

ـ من أين علمت أني قلت للأشقر ؟

توتر بشدة قائلًا :

ـ لا تناوري معي ..

ـ لماذا ؟ .... هل لديك حساسية من التناور ؟

تنهد بتعجب رافعًا حاجبيه :

ـ رحيل ... سنتركك حية ولكن بشرط ..

ـ مع العلم أني سأُترك حية بكل الأحوال ولكن أثارني الفضول .. ما شرطك ؟

ـ اغلاق القضية ..

ـ ماذا تريد من سانتا أيضًا يا عزيزي ؟

ـ ألستِ خائفة ؟

ـ خائفة ! .... أشعر أني بمشهد رسوم متحركة للأطفال تحت سن الثالثة ..

ـ ولكن ما سيحدث لا يناسب الأطفال ..

ـ أعلم لن يُناسبكم ولذلك سأحاول أن أتهاون ..

ـ ماذا تريدين ؟

ـ ماهية الأمس ..

نظر لي قليلًا ثم نظر لمن خلفي :

ـ اقتلوها بعد خروجي ..

ـ صدقني لن ترحل ..

بدأنا مبكرين .. كان أحدهم يملك ملامح جدّية يرفع سلاحه إتجاهي ويشد أجزاؤه والآخر ينظر ببلاهة فإلتفتُ راكضةً خلف ذاك الأبله وقبل فِعل شئ أطلق الآخر النار عليه فتعجبت من سرعة الأمر فصرخ عليّ رافعًا سلاحه :

ـ لا تتحركي ..

فرفعت يدي بجانب كتفيّ كنوع من خدع الإستسلام وبإحترافية مسرعةً أخذتُ منه سلاحه وقل أن يلتفت ليهرب أطلقت النار ....

أخذتُ السلاحين وركضتُ لأوقف ذاك المتعجرف فوجدته ركب سيارة فأخذتُ أنا السيارة التي أحضرتني ولاحقته فشعرتُ بملاحظته لي فزاد من سرعة السيارة و أسرعتُ أنا الأخرى حتى أصبحت بجانبه وعندما حاول الإصطدام بي من الجانب .. أسرعت حتى وقفت بسيارتي أمامه فترجل منها بسلاحه وترجلتُ أيضًا بسلاحي حتى وقف أمامي :

ـ أليس عيبًا في حقي ؟ ... حارسان فقط ..

ـ من أنتِ ؟

ـ ما هيّ عملية الأمس ؟

لاحظتُ أحدهم خلفه على بُعد حوالي عشرين مترًا ولم أستغرق سوى ثانيتين حتى أدرك أنه قنّاص فأخبرته بهدوء :

ـ لا تتحرك وانبطح عندما أخبرك بذلك ..

ـ هل تحاولي تمويهي ؟

حاولت تحديد مكانه جيدًا ثم ....

ـ انبطح ..

أطلقتُ النار مرتين وأعتقد أنه مات لأنه توقف عن إطلاق النار بعد ثالث طلقة خرجت من سلاحي :

ـ أرأيت ؟ .. بمجرد أن تمثل خطرًا عليهم سيحاولوا قتلك ..

ـ لم يكن من أجلي .. كان من أجلك ..

ـ أتمزح ؟ .. إن كان من أجلي فلماذا لم يقف خلفي ؟

نهض من جانبي فأوقفته :

ـ من أنت ؟

ـ عزيز .. ولستُ مسرور من التعرف عليك ..

ـ هلا تخبرني ماهية الأمس ؟

ـ لا أريد إستخدام العنف ولذلك ارحلي ..

ـ أرحل ! .. ألن تقتلني ؟

سار بضعة خطوات مبتعدًا :

ـ إذًا أنتَ ممتن لي بإنقاذ حياتك ؟

عاد وبغضب :

ـ الأمر ليس سهلًا كما تتخيلين .... لا أحد يعلم ماهية الأمس ... حتى الأشقر المحتجز لديك لا يعلم شئ ..

ـ مَن يعلم إذًا ؟

ـ لا يمكنني القول ..

ـ ما الذي يجبرك ؟

ـ لا شئ يجبرني ..

ـ أنتَ لستَ متورطًا بإرادتك في ذلك الأمر

ـ لن تستطيعي وحدك مواجهته ..

ـ من هو ؟

ـ .....

ـ حسنًا بهدوء .. من أنتَ ؟ .. وكيف دخلت ذلك الأمر ؟

قاطعنا إطلاق ناري فإختبأ كلانا ونحن نحاول رد الطلقات معًا وهو لا يعلم مَن المطلق .. ولكنه استهدفنا نحن الإثنان وبعد مرور دقائق من ذلك الإشتباك ... انتهت الذخيرة مني ومن عزيز ثم استمر إطلاق النار من طرفهم وأُصيب عزيز ولاحظتُ توقف إطلاق النار عندما أُصيب وثم حاول النهوض وقرر الإعتراف :

ـ انظري ... ابنتي ذات الخمس أعوام بحوزتهم .. إحرصي على آمانها ... الأمس عملية إرهابية بها ثلاث مراحل لا أعلمهم ... ولكن أعلم تم تنفيذ المرحلة الأولى وجاري تنفيذ الثانية .. ويوجد تسليم الآن ويتم التسليم الأكبر بعد أربعة أيام ....

ـ تسليم ماذا ؟

ـ يوجد جهاز تتبع في سيارتي يشير إلى مقر تنفيذ المرحلة الثانية ... وإنتبهي يوجد الكثير من الحراس وأجهزة إنذار وأساليب هروب عديدة ... لا تذهبي وحدك ...

ـ المرحلة الثالثة ؟ ..

ـ لا اعلمها وستحدث بعد عشرة أيام وحاولي إيقافها لأنها اخطرهم ..

ـ لا تنسي إخبار ابنتي أني أحبها كثيرًا .....

ـ ستخبرها بنفسك ..

ـ لم يتبقى لي الكثير من الوقت ..

ـ تلك رصاصة مخدرة لا تقلق ..

ـ رصاصة مخدرة ...!

ـ مزودة بجهاز تنصت أيضًا ..

وقفتُ على قدمي وقبل أن ترتسم علامات الدهشة على وجهه .. خرج الجميع من اماكنهم :

ـ إطلاق النار الأول حقيقي ولا دخل لي به .. ولكن الثاني من فِعل قوات الأمن ..

ـ ولكن متى قمتِ بالتواصل .. ومتى حضروا ؟

ـ كانوا هنا .. وتواصلتُ معهم من هاتف أحد الرجلين للتدخل عند حدوث إشتباك ناري ...

ـ ولكن .....

أصدرت أمرًا لقوات الأمن بتكبيله وترحيله على قسم التحقيق ثم أتى طارق إليّ :

ـ لكِ القبعة تُرفع كالعادة ..

ـ ولكَ أيضًا فأتيتُ في الوقت المناسب ..

ـ أتينا ..

ـ ماذا تقصد ؟

قبل أن يُجيب ظهر تميم مرة أخرى وبالتالي يزداد الغضب داخلي :

ـ أتمزح معي ؟

طارق : لماذا ؟

ـ ماذا يفعل هنا ؟

تميم : يبدو أنه ليس مرحبًا بي ..

ـ نعم .. ومن الأفضل أن ترحل ..

طارق : رحييل .. لماذا تكرهيه ؟

اللعنة .. هل إنفعلت بشدة ؟ ...

ـ لا أكرهه بالطبع ولكن لا أحب عدم النظام .. أليس من المخابرات ؟ .. ماذا يفعل مع قوات الأمن والشرطة ؟ .....

طارق : إنه متعاون في القضية من بعد الآن ..

ـ متعاون في ماذا ؟

طارق : في القضية ..

ـ أي قضية ؟

طارق : هل أنتِ بخير ؟

ـ لا أريد ..

طارق : إنه أمر من النائب العام ..

****

" مُبتَلين بحبهم، مُعذّبين بعدم رغبتهم في البقاء "
تسنيم إيهاب

تميم

لم يعد لذلك الحنين حل فلا مفر لي منه وكأنّ القدر إستبدل مكانها بحنين وإشتياق لا ينتهي وأعتقد أنه لن ينتهي طالما لم تغفر لي .....

كل ما في الأمر أني تركت أمري للقدر وهو من جمع بيننا دون دراية كما أني أعترف بصعوبة تصديقي أنّ تلك هيّ رحيل التي رحلتُ عنها قبل خمسة أعوام ولكني لم أقصد التخلي عنها ولكن ذلك ما حدث ولا عذر أو إعتذار يغفر لي ما فعلته ....

بعد إخبار طارق رحيل بأمر النائب العام تركتنا وذهبت لتقف بعيدًا ناظرةً للأفق فلم أفكر وذهبت لأقف جانبها وبمجرد وقوفي ابتسمت بتنهد قائلة بصوت غريب وكأنه خرج من عمق داخلها :

ـ اشتقتُ لك ..

هل أحلم ؟ ... هل إعترفت باشتياقها لي الآن ؟ ... أشعر وكأنها تُجهز لي إنتقامًا على السنوات التي التهمها الفراق وقبل أن أقول أي شئ أردفت :

ـ واشتقتُ لرحيل القديمة أيضًا ولن تصدق ولكن اشتقتُ لتلك الليلة أيضًا .... أتذكرها ؟

أشعر وكأن وعيي سيتخلى عني هاربًا :

ـ تميم ! ... أتذكر تلك الليلة ؟

ـ لم أنساها ولم أنساكِ ..

ـ ولكني فعلت ولستُ آسفة .. نسيتك ونسيت كل شئ

ـ هل أُذكرك ؟

ـ لا أريد التذكر كما أني لا أريد وجودك فأنتَ ذنب روحي القديمة الذي طلبت له التوبة منذُ زمن .

ـ هل أستحق المغفرة ؟

ـ لم يكن ذنبك ..

ـ لا تلتمسي لي أعذار ..

ـ صدقني لا أفعل ولكن الحقيقة كذلك .. أنا مَن أحببتك أكثر مما تستحق ..

ـ مرّت السنوات و تغير كلانا ... لذا ما رأيك في التعارف مجددًا .. ؟

ـ لا تراوغ .. لم أعد أؤمن بالحب ..

ـ كأصدقاء ..... ربما ؟

صمتت قليلًا ثم التفتت لتنظر داخل عيني وبجدية قاحلة السواد تجعل روحي تستنجد :

ـ أنا أتوق إلى التخلص منك ... نحن زملاء في تلك القضية حتى تنتهى .. وصدق إن سنحت لي الفرصة سأقتلك .

تركتني وسارت عدة خطوات ثم أوقفتها :

ـ ألم تقولي أنه لم يكن ذنبي منذُ ثواني وماذا عن إشتياقك لي ؟

عادت بنفس الجدية :

ـ سيظل ماضيك ملطخًا بتلك الذكرى مهما فعلت .. أما عن اشتياقي فكان لما قبل تلك الليلة وليس ما بعدها ولو بيدي لحذفتها وحذفتك من ذاكرتي وماضيّ وحياتي ... ليتني لم أقابلك قط .

ظننتُ أنها ستصفعني أو تضربني على الأقل ولكنها لم تلمسني وبدا الأمر وكأنها مزقت قلبي بيدها وأشعلت فتيل ناري في عروقي حيثُ جعلت الحب داخلي ينزوي باكيًا فاقدًا قدرته على البوح .....

هل لتلك الدرجة أصبحت قاسية ؟ أم أني آلمتها لدرجة أصبحت لا تبالي بألم أحد ؟ ولكني أيضًا تألمت وحدي بعيدًا .....

بعد ذهاب رحيل لطارق أشار لي لأذهب لهم :

طارق : عزيز الآن في طريقه لقسم التحقيق مع الأمن المشدد .. يجب الذهاب سريعًا لذلك المقر الذي سيتم تنفيذ المرحلة الثانية من عملية الأمس فيه قبل أن يتم إكتشافهم أننا ألقينا القبض على عزيز .. لا حل لنا سوى الذهاب .. فالتسليم الذي لا نعلمه سيحدث اليوم ... من سيذهب ؟

رحيل : بالطبع أنا ..

طارق : بالطبع ليس وحدك .. عزيز بنفسه حذرك

ـ سأذهب معكِ ..

نظرت لي وكأنها ستقتلعني من على وجه الأرض :

طارق : حل مناسب ومنطقي ..

رحيل : لا ليس .. ليس منطقيًا على الإطلاق ..

طارق : سالم مصاب .. ما اقتراحك ؟

رحيل : سأذهب مع الفريق ...

طارق : لا إختلاف في الفريق .. بالطبع سيذهب

رحيل : لستُ واثقة من إحترافية تميم في المداهمات والعمليات الخاصة

ـ أتمزحين ؟؟

طارق : تميم أشهر عميل في المخابرات وأكثرهم إحترافية .. حائز على الجوائز في رياضات الملاكمة والباركور والتايكندو والكاراتيه وعلى أكمل علم بجميع مهارات الدفاع عن النفس .. وعمل كجاسوس لأكثر من مجرم و....

رحيل : وذلك ما يقلقني ... إحترافية عمله كجاسوس

ـ لصالحكم ..

طارق : رحيل .. أعلم مدى صعوبة أن تثقي بمن لا تعلمين ولكن إنه متعاون ويلزم الذهاب إلى موقع التسليم سويًا بجانب الفريق قبل أن يحل الظلام ..

أعلم مدى رغبتها في التخلص مني ولكنها حقًا لا تثق بي الآن وليس لما بيننا من سابق لقاء ، نظرت لي قائلةً بحزم :

ـ لن تعوق تحركي تحت أي ظرف ولأي سبب وخاصةً لأني قائد ذلك الفريق ..

ذهبنا سويًا لسيارة عزيز وخلفنا بأمتار لا تُرى سيارات الفريق ، كان الندم البادي عليّ لا يمتلك القوة الكافية لمواجهة الغضب داخلها والتغلب عليه وأعلم أنها تملك كامل الحق في ذلك واتمنى من أعمق جزء داخلي ألا نقع كلانا في الحب مرة أخرى لأني لا أملك ما يكفي من القوة التي ستمكنّي لاحقًا من المرور بإختبارات قد لا تساعدني على جعلها تسامحني على الأقل ...

قبل خمسة أعوام

شتاء ديسمبر , القاهرة عام 2013 :

كان الجو هادئًا قبل أن تنقلب السماء ويتحقق حلم رحيلي لأول مرة ....

استيقظتُ على صراخ رحيل بإسمي :

ـ تمييم .. تمطر .. تميم ..

ـ ما به المطر ؟ .. كالعادة تمطر .. أيستحق الأمر نهوضي من السرير ؟

ـ نعم يستحق وبجدارة ..

ـ بلى .. أُريد النوم

ـ إلى اللقاء عزيزي محب النوم .. سأرحل ..

ـ إلى اين ؟

كانت الإجابة الصمت الذي يُوحي بوجوب نهوضي فتخليت عن سريري الدافئ وأنا أحاول مقاومة نعاسي وإرتديتُ أول ما رأيته وخرجت للشرفة ....

كانت محقة كالعادة .. يستحق الأمر نهوضي وبجدارة .. تمطر ولكن ليس ماءًا كالعادة .. ثلجًا وبدا لي وكأنه يمطر لأجلها فقط .. زوجتي محبة السماء وكل ما يأتي منها ترقص تحت الثلج الساقط أثناء ركض البشر ومحاولة هروبهم للجوء في منازل لا تحميهم من أشياء أشد خطورة من الثلج ..

كانت جميلة ذا شعر كستنائي ناعم كحرير عليه كرات صغيرة من الثلج وعيناها تلمعان ككرتين من البندق بجانب تلك الحفرة التي بين وجنتيها الوردية وشفتيها التي كالكرز والتي تزيدها جمالًا على جمالها الذي لا يُقاوم .....

تركت الشرفة ونزلت الدرج لأرى إبتسامتها تزداد إتساعًا عند رؤيتي ثم ضمت حاجبيها وبنبرة لوم :

ـ ستمرض ..

اقتربتُ منها ببطء واحتضنتُ خاصرها :

ـ ما رأيك في أحلامك التي تتحقق تِلو الأخرى منذُ زواجنا ؟

ـ لم يمر سوى شهرين .. مازال لدينا الكثير لنحققه سويًا ولكن إن استيقظت مبكرًا ....

ـ ما رأيك في إحتساء بعض القهوة أمام فيلمك المفضل ؟

فكّت حصار يدي وابتعدت عدة خطوات قائلةً :

ـ سأفكر في الأمر ..

كانت روحها كطفلة بسن المراهقة تركض لتسابقني فيمن يصعد السلالم أولًا ونصعد لتحضر لي الإفطار ثم القهوة ثم فيلمها المفضل ثم .....

****

ـ تميم .. ارتدي سماعة البلوتوث خاصتك ... تمييم

ـ حسنًا سأرتديها ..

البدايات دائمًا ما تكون جيدة ولكن النهايات لا تكون كذلك فوجودها بحد ذاته يسبب الألم ....

ـ في ماذا شردت ؟

ـ لا يهم ... هل اقتربنا ؟

ـ تبقى عشر دقائق .. استعد ..

ـ مستعد في أي وقت ..

ـ تم إرسال بعض إحداثيات المكان .. سنتسلل عبر البوابة الفرعية وكاميرات المراقبة سيتم تعطيلها لمدة عشر دقائق .. فقط عشر دقائق نمتلكهم وإكتشاف ما سيتم تسليمه وإنقاذ الوضع .. عند حدوث أي أمر غير متوقع .. نتواصل بالفريق ليتم التدخل بأقل من ثلاث دقائق .. سنترجل الآن من السيارة بمسافة تبعد عشرين مترًا للتسلل ...

ـ مستعدة ؟

أشارت برأسها مشيرةً بالإيجاب وترجلنا من السيارة كلًا في وضع الإستعداد للتسلل إلى أن وصلنا للمبني وتأكد تعطيل الكاميرات وبدأت العشر دقائق ..

****

" الشخص المُناسب لا يرحل أبدًا.. لا يرحل ، ولا يَدفعك للرحيل "
مقتطف

رحيل

الحب ليس جيدًا مثلما يتخيل البعض .. إنه سئ بشدة إن لم يقف القدر لصالحكم .. ولكنه كباقي المشاعر السوداء تبعث القوة في الروح ولذلك لا أملك نطفة واحدة من الندم داخلي فجميع تلك اللحظات الماضية قد ازادت عضلات قلبي قوةً .....

حين بدء العشر دقائق تسللنا للداخل واختبأنا خلف شاحنة بعد مواجهة بعض الحراس على البوابة ومع القليل من الحركات البهلوانية تم التخلص منهم ، المكان ذو بنية قديمة .. به ثلاث مباني تتوسطهم ساحة بها الكثير من السيارات الحديثة والتي لا تليق بذاك مكان ....

كان لا بدّ من التحرك وإكتشاف أي شئ فإذا انتظرنا قليلًا ستعود الكاميرات للمراقبة وستذهب تلك الدقائق عبثًا :

ـ تميم .. سأحاول الدخول إلى المبنى الأصغر فيبدو أنه خاص بالمراقبة ...

ـ وحدك ؟

بنبرة سخرية ممزوجة بغضب :

ـ لا ... أصدقائي في الطريق ...

ـ انتبهي .. اصرخي بإسمي إن احتجت المساعدة

ـ بالطبع يا أمي ...

لا أفهم أحقًا يعتقد أني قد أحتاج مساعدته :

ـ ابقى هنا و راقب ما سيخرج من المبنى

سرتُ متسللة خلف السيارات حتى وصلتُ إلى بوابة المبنى الأصغر ولم يكن عليها حراس مما سهل الدخول .. أول ما رأيته هو مصعد بجانبه سُلم لأعلى فصعدتُ بهدوء و رأيتُ في الطابق الأول شقة بابها مفتوح فاختبأت جانب الباب وإسترقتُ النظر للداخل فلم أجد أحد فدخلتُ بعد تأكدي .. دخلت وتأكد ظني بأنها غرفة المراقبة و رأيتُ شاشة للبوابة الأمامية معطلة وأخرى بها أطفال ذوي ملابس ملطخة وأخرى بها مكتب يمتلئ بالملفات ولكن لا أحد بها وأخرى كغرفة إجتماعات ويجلس عليها حوالي خمسة أشخاص وباقي الشاشات تنقل مشاهد للساحة والسلالم وغرف فارغة ... أخذتُ من الوقتُ ثوانٍ لأعلم أنّ التسليم سيكون أطفال ليتم التجارة بهم ....

أيقظني من تفكيرني رؤيتي لظل يأتي من خلفي فانخفضتُ ثم أعطيته لكمة في كلًا من قدميه فوقع وقبل أن يصرخ أفقدته الوعي وخرجتُ بهدوء وعندما كدتُ أنزل من السُلم رأيتُ عدد من الحراس لا يقل عن ثمانية ففيرتُ مسار إتجاهي وصعدتُ ثم أخذت المصعد فنزل مسرعًا وخرجت من المبنى قبل أن يعلموا بإصابة صديقهم ، ذهبت راكضةً بهدوء لتميم :

ـ التسليم سيكون أطفال ..

ـ أطفال !

ـ هم في المبني الأكبر الدور الثاني أو الثالث .. اطلب الدعم الآن .. علموا بوجودنا ..

أثناء تحدثنا خرج الحراس من المبنى الأصغر وكان بعضهم في اتجاه المبنى الأصغر والبعض الآخر ينتشر في الساحة باحثًا عنا :

ـ تميم .. ستلهيهم أنتَ وسأحاول الصعود للمبنى الأكبر لأنقذ الأطفال وأجد الملفات إلى أن يأتي الدعم .. أريدك حيًا وعلى هيئة قطعة واحدة ولذلك انتبه جيدًا .

كان احساس بالقلق .. ولكن لماذا اقلق عليه ؟ .. ربما لأني لا أُريد لأحد أن يقتله سواي ، تسللتُ خلف السيارات في الوقت الذي ظهر تميم محاولًا لفت الأنظار واتجه اليه الحراس وقبل أن أصعد للمبنى الأكبر ألقيتُ عليه نظرة ، كان المبنى فخمًا عن الأخرون وسلاله من رخام راقي فصعدت عليها بحرص وأنا يدي في الأمام حاملةً سلاحي وفي أول طابق غرفة واحدة فتأكدت أنها غرفة الأطفال ففتحت الباب وتواريتُ خلفه ونظرتُ على الأطفال كانوا بخير .. ولم أرد ان أخرجهم قبل وصول الدعم ثم صعدتُ مسرعة في الطابق الذي يليه فكان المكتب وغرفة الإجتماعات .. بعد الفحص جيدًا لم أجد أحد في غرفة الإجتماعات ولكن في المكتب ثلاثة أشخاص يتحدثون بهدوء تام وعلى غير علم بما يحدث في الساحة وكان يجب عليّ الدخول والحصول على المعلومات قبل وصول الدعم حتى لا يجد هؤلاء الثلاثة طريقة لتهريب المعلومات فلم أجد مفر من مواجهتهم ولم أرد قتلهم أيضًا فدخلت وبنبرة ثقة :

ـ مرحبًا ...

نظروا لي بإستغراب وأخرج اثنان منهم أسلحته نحوي وبدا الأمر أنهم يحمون الثالث الذي كان يجلس على كرسي المكتب الأساسي وينظر لي رافعًا حاجبيه ببرود والشبه بينه وبين الأشقر واضحًا مما أثار داخلي شكوكًا بوجود صلة قرابة بينهم :

ـ لا أرغب بإيذاء أحد ..

إبتسم لي الثالث قائلًا :

ـ أعلم .. فالنساء أرق من إيذاء أحد ..

لم أقدر على التحكم بمشاعري وضحكت بشدة واردفت :

ـ كيف علمت ؟ هل جربت أن تكون إحداهن يومًا ؟

ـ أتعلمي أنه يوجد سلاحين أمامك الآن ؟

ـ أتعلم أنه يوجد في المبنى المقابل قنّ....

قبل أن أكمل تمت إصابة كلًا من الرجلين من قبل قنّاص خاص بالأمن في المبنى المقابل وبقى ذلك الغريب بعد أن أصبح القلق وشاحًا على وجهه ونهض واضعًا سلاحه اتجاهي فابتسمت وجلستً على أحد المقاعد المجاورة :

ـ ما رأيك بالتفاوض ؟

ـ من أنتِ ؟

ـ كابوسك الأسود ... ألا يظهر عليّ ؟

ـ المقدم رحيل .. أليس كذلك ؟

ـ ليس عدلًا أن تعرفني وأنا لا .. من أنت ؟

ـ لن تنالي مني أي شئ ..

ـ لا مفر لك .. المبنى محاصر بالكامل ولا أحد سيهرب أو..

قاطعتني صوت ضحكه ثم إقترب من وجهي :

ـ تم تهريب الأطفال ...

لن أصدقه ولكني لن أسمح بالشك التخلل داخلي ، دفعت سلاحه بيدي فسقط أرضًا واخرجت سلاحي واصبت قدمه كي يصعب هروبه وأثناء نزولي تحدثت مع تميم ليأتي ويمنعه من الهرب .. عندما نزلت ورأيت غرفة الأطفال فارغة تعللني الغضب بطريقة لم أعهدها من قبل وعُدت أبحث عن الأطفال في الأعلى وفي كل طابق ونزلتُ للأسفل مسرعةً فوجدتُ تميم مصاب فركضتُ له وأخبرني بوهن :

ـ بعد صعودك بدقيقتين أتت شاحنة ضخمة وأنزلوا الأطفال وحاولت منعهم ولكن لم أستطع .. أعتذر ..

ـ لا بأس .. أنا سأمنعهم .. إلى أي اتجاه ذهبوا ؟

ـ الطريق السريع ..

نهضتُ مسرعة واخذتُ سيارة وبدأت بمطاردة هؤلاء الأوغاد على السرعة القصوى ومرّ حوالي خمس دقائق لحين رأيت سيارة تطابق التي وصفها لي تميم فاقتربت بهدوء حتى لا أثيرُ الشكوك داخلهم كي لا يحدث تشابك بالسيارات ويتأذى الأطفال وبعد تفكير سريع كان الحل الأنسب التوقف أمامهم وكسر الطريق وقتل من بالأمام ببعض المراوغة ، تمعنت النظر فكانوا شخصين ذوي بنية قوية ولكن مهما وصلت بهما القوة فلن يكونا مثلي أبدًا ، زدتُ من سرعة السيارة قليلًا وتجهزت لكي أقفز من السيارة بمجرد وقوفي امامهم وبالفعل وقفت أمامهم

بالسيارة فاضطروا للتوقف وترجلتُ من الجانب الآخر وزحفت من تحت سيارتي لأسفل خاصتهم بسرعة فأصبحتُ خلف سيارتهم ، ترجل أحدهم ذاهبًا إتجاه سيارتي فلم يجد شئ فتحرك قليلًا حولها وسمعتُ خطواته اتجاهي فتحركتُ اتجاه السائق ولم يلاحظني في المرآة العاكسة وفتحتُ الباب واطلقتُ على كتفه مما دفع الآخر لمهاجمتي فواجهته مستعينةً ببعض الحركات البهلوانية وعندما اوقعته أرضًا انتبهت بعدم موت الآخر ولكن كان قد اطلق النار عليّ ولا بأس بذلك فواقي الرصاص يقوم بمهمه ولكن الأمر الأصعب هو قدوم مفاجئ لسيارتان مما أكد لي طلب السائق للدعم من فئته وأثناء تفكيري نهض من أوقعته وانتبهت من ظله فدفعته بشدة بمرفقي فوقع مغشيًا عليه واطلقت النار على رأس السائق فاستغل فرصته الأولى في النجاة بشكل سئ ، هدفي هو عدم السماح لشاحنة الأطفال بالرحيل ، ظننتُ أنه سيحدث تبادل إطلاق ناري في البداية ولكن لم يحدث .. بدأ أحدهم العراك معي بسرعة وكأنهم يستعجلون التسليم فأدرتُ يده ودفعته بمقبض يدي مما جعل أحد أضلعه ينكسر وأوقعته أرضًا ثم واجهت ثلاثة أخرين فكان مصيرهم كمَن سبقهم ورأيتُ القليل يتجه للشاحنة فذهبتُ لهم بعد مواجهة من اعترض طريقي ولكن أحدهم كان مناورًا فأصابني في رأسي بشدة فترنحتُ قليلًا ثم دفعني لتحتضني الأرض ويستمر القليل منهم بركلي في بطني فأصرخ وكأنّ الزمن يُعيد ذلك الأمر مجددًا .....

❊❊❊❊❊❊

(في تلك الليلة)

13 أكتوبر , القاهرة عام 2014

الإعتياد الدائم يُوحى بأنّ الشتاء هو الأكثر قسوة بين الفصول ولكن تلك القاعدة لم تسري على رحيل وتميم فشتاء حبهما كان الأكثر جمالًا لإحتوائه على تلك البدايات التي دائمًا ما تكون مثالية ولكن سرعان ما أتى الخريف وكما تسقط أوراق الشجر لتكون الأرض ملجأها القادم .. سقط الإثنان من أعلى السماء ليرتطموا بقاع الواقع الذي لم يسبق له إرسال إنذارًا لقدومه .....

الليل قد حل بسواده وفي المنزل الذي تعالت الضحكات فيه معلنةً عن سعادة تبدو وكأنها لا نهائية .. كانت الصرخات بديلًا لتعلن بداية النهاية لدقات قلب لم يمر على وجوده سوى بضعة أشهر ، رحيل تصرخ ببكاء لتميم تترجاه بكل شئ :

ـ لا تفعل ذلك .. أرجوك .. لن أسامحك .. سنفترق .. سأقتلك تميم .. لا تفعل ذلك ...لا تختارني ..

كان ينظر لها والدموع تتساقط من عينيه بغزارة فكان القرار الأصعب في حياته بل القرار الأصعب على الإطلاق وأغمض عينيه محاولًا إستجماع شجاعته لينطق بقرار سيكون سببًا في إنتهاء العلاقة ونظر لها مواسيًا ثم قال :

ـ آسف بشدة ..

لم تملك وقتًا لتندهش ليدفعها أحدهم أرضًا ثم يأتي أخرون ويضربون بطنها بأقدامهم بعنف فتنظر بعجز لبطنها الذي يختبئ داخله طفلٌ ذو سبعة أشهر ثم

تلقى تميم بنظرة أخيرة وهو يحاول مقاومة من يقيدوه بأقصى قوته ويصرخ لهم ثم يتم إطلاق النار عليه لتذرف دمعة أخيرة ثم تفقد الوعي ...

****

لم تسنح لي فرصة النهوض وزادت الهجمات عليّ ولكن أعتقد ما منعني من النهوض حقًا هو الألم النفسي الذي كابحته عند التذكر وقبل أن أغلق عيني رأيتُ تميم يأتي راكضًا بجانب بعض الدعم و .... سواد فقط .. ثم شعرت بألم بطني وثم .....

****

" لا يستحق الجميع فرصة ثانية "

تصميم

لنسعى معًا ونتبع كل قواعد العلاقات الممكنة ونتجنب الخوف المستمر من الوصول للمحطة الأخيرة من العلاقة حيثُ ننتهي دون رغبة منا فيصل بنا القدر للنهاية التي نقول فيها : كان بيننا قصة وددنا أن نكملها سويًا حتى العتبة الأخيرة من العمر .....

لم تكن إصابتي بالخطورة التي تجعلني اتخلى عن رحيل واتركها لتذهب وحدها فحاولتُ التغلب على الضعف ولكن قبل الذهاب لرحيل توجهتُ لأحاول القبض على مَن كان في المبنى الأكبر ، فصعدت لأعلى فوجدت آثار دماء كثيرة تكشف عن الطريق الذي ساره كما أنّ الحاسب الآلي والكثير من الملفات مفقودين وقبل أن ينجح إحتمال هروبه اتبعت تلك الآثار وكان الطريق لأعلى فصعدتُ حتى وجدته يحاول الهرب مقاومًا لألم قدمه التي أُصيبت بطلق ناري فحاولت الإقتراب منه لأحاول تكبيله ولكنه انتبه عليّ فأخرج سلاحه إتجاهي وبإرتباك وخوف شديد :

ـ لا تحاول الإقتراب .. سيموت الجميع ..

ـ سيموت الجميع ! .. ماذا تقصد ؟

ـ لا تقترب ..

ـ لن أفعل .. إهدأ ..

ـ لن تستطيع أن تجدها .....

بغضب لم أستطع كبحه :

ـ من هيّ ؟ .. من تقصد ؟

ـ ستبحث عنها في العالم بأكمله وستكون هيّ بالقرب منك ولكنك لن تعلم .....

كان يتنفس بفزع ورعب لم أفهمه ثم حرك سلاحه إتجاه رأسه قائلًا :

ـ إذا لم أفعل .. سيفعلون هم ..

قبل أن أسأله عن أي شئ أعلم أنه لن يجيب عليه .. إتجهت له مسرعًا ودفعت السلاح بيدي ولكنه قد ضغط على الزناد فانطلقت الرصاصة واخترقت جسده فناديتُ على احد افراد الدعم لطلب سيارة إسعاف وأخبرتهم بضرورة إرسال الملفات والحاسب الآلي بآمان لقسم التحقيقات وتوجهت لرحيلي مسرعًا وبعد دقائق من الإنتظار المميت وصلتُ فكان العراك في وسطه ورحيلي ملقاة على الأرض تُهاجَم في مشهد مماثل لما مضى فتندثر كل تلك السنين وكأنها لم تكن ..!

لو كان يسمح لي القدر وقتها بوقف كل ما حدث .. فلم يكن الحب سيصل بنا لتلك الدرجة .....

اتجهت لها و واجهت بعض الأوغاد بغضب وبعنف بشع حيثُ إعتقدتُ أنّ أحدهم القدر والآخر الماضي والباقي في هيئة تلك الليالي السوداء التي لا نوم فيها ولا راحة .....

القت عليّ نظرة ثم تخلى عنها الوعي فحملتها ذاهبًا للمستشفى بكل السرعة التي اوتيتُ بها إلى أن وصلت وقد دخلت إلى العمليات حيثٌ تم إستوقافي وهنا بدأت حرب المشاعر داخلي .....

تلك الليلة التي بدأ فيها هذا الكابوس الذي نود أن ينتهي ونستيقظ منه ولو لدقائق .. نرتاح من ذلك الألم الذي يتراءي برؤية مكان أو موقف مشابه ... حتى تلك الدموع التي كانت سبب في راحتنا قديمًا .. باتت الآن وكأنها ذنب لشبح الماضي .. ظننتُ أنّ تلك الآلام ستزول ولكنها لا تفعل بل تزداد وكأنّ القدر يصر أن ينعى السعادة لدينا .. كأن العالم يحاول بقدر إمكانه لكي يمنعنا من التملص من ذلك الحزن اللا نهائي ولا خيار لنا سوى المحاربة والمعافرة بقوة لا نملكها .. لا نملك رفاهية كالإستسلام أو التخلي أو الهروب ....

لو يخرج الطبيب الآن ويخبرني أنها والطفل بخير سأملك كل السعادة التي خُلقت في العالم .. لو يناولني القدر معجزة فسأظل شاكرًا له حتى النفس الأخير .. أعتقد أنني فقدت عقلي تمامًا كيف يمكن أن أرغب بحدوث موقف في ليلة انتهت قبل سنين ؟

أثناء بكائي شعرت بيد أحدهم خلف كتفي .. فلعنت نفسي لأنني لم أتحكم بحزني تحسبًا لأي أحد من القسم قد يلاحظ وجود قرابة بيننا .. فالتفتت وانا أفكر بمبرر مناسب حتى اكتشفت أنّ تلك اليد لسالم والذي كان في نفس المستشفى :

ـ امممم ... تذكرت موقف لي مع والدتي لذا...

إبتسم قائلًا :

ـ استرخي .. أعلم ..

ـ تعلم ! ... ماذا تعلم ؟ ...

ـ أعلم كل شئ .. عنك وعن رحيل وعن تلك الليلة

هربت من عيناي دمعة رغمًا عني وحاولتُ مسحها كي لا أظهر أي شئ :

ـ تميم .. لست مضطر لتدّعي أي شئ لستُ عليه أمامي .. سأتفهم .. ولديك كامل الحق في البكاء أو الإنهيار ولكنها محاربة وثِق أنها ستكون على أفضل ما يُرام .....

ـ أعلم ولكن هل ستسامحني ؟ ... هل أستحق فرصة أخرى ؟ .. لا أعتقد أنها مازالت تح.....

ـ الحب ليس لديه علاقة بما حدث .. الأمر وما فيه أنكما لم تكونا على دراية بالمسؤوليات التي يخلفها الزواج ...

ـ هل يمكن حدوث معجزة لتغيير المستقبل ؟

ـ مهما فعلت لن يتغير المستقبل طالما أنك تنظر لما حدث في الماضي ...

ـ لكنها .....

ـ إهدأ وتنفس الآن .. حاول إستجماع قواك قبل أن يأتي أحد ...

ـ ولكني لا أريد أن أكون قويًا .. أريد أن أبكي .. أنهار .. أحتضن الأرض .. أفعل أي شئ غير أن أكون قويًا ...

ـ يمكنك الرحيل الآن ونيل قسط من الراحة ..

ـ لن أرحل وأتركها مجددًا .. هيّ راحتي ..

- يمكنني أن أمنع العميد طارق من القدوم ولكني لا أستطيع منع نور وكما تعلم لا يجب أن تراك نور هنا لأنه إذا رأتك ستضطر لإخبار...

- إخبار من ؟

- مالِك ..

- من ذلك ؟

- خطيبها

- هل خُطبت نور ؟ .. لتخبره .. لا يهم وعلى كلٍ لم ينتهي العالم ليقف لي خطيب نور ..

- تميم .. أعتذر بشدة ..

- لماذا ؟

- إنه ليس خطيب نور بل رحيل ..

- رحيل ..!

- .....

- جيد لها أنها إستطاعت المضي قدمًا في حياتها ...

حاولتُ إنقاذ وجهي من كل تلك المياه التي أغرقته وإدعيتُ الامبالاة أمام سالم وبعد مرور القليل من الوقت خرج الطبيب :

ـ إنها بخير .. فقط بعض الجروح السطحية وبجانب الرعاية الطبية ستكون بخير تمامًا وجاهزة للعمل خلال يومين .

قبل أن يأتي أحد اردتُ الرحيل خاصةً بانعدام أهمية تواجدي وأثناء سيري أوقفتني احدى الممرضات وأخبرتني بضرورة تغيير ضمادات جرحي ويجب إقامة بعض الفحوصات فوافقت وكأني أبحث عن حجة للبقاء وبعد الإنتهاء رأيتُ سالم يقف بالأسفل مع أحدهم وبجانبه نور فأخبرني داخلي أنه مالِك فسرح بي الخيال قليلًا عن كيفية إهتمامه برحيل وعن حبه لها .. عن إستطاعته أن يطمئنها بنظاراته مثلما كنت أفعل .. هل مسك يدها وقفزا إلى القاع سويًا مثلما فعلنا من قبل ؟ .. هل يجعلها تضحك وتركض مثلما كانت ؟ .. هل دعاها للإفطار أو أحضر لها زهورًا ؟ .. هل راقب أصغر تفاصيلها واهتم بها ؟ .. هل لفّ القطن حول آلامها وقام بشفائها ؟ .. ما الذي فعله ليكون في مكان كنتُ فيه سابقًا ؟ .. ما الذي فعله ليستحق لقب حبيب .. لقبي ؟ .. ولكن من أنا وما مكانتي الآن ؟ .. أين كنا وأين أصبحنا ؟ .. والأهم من ذلك كله .. هل أحببتيه على الرغم من إخبارك لي أنكِ لم تعودي تؤمنين بالحب ؟ ... لماذا تركتك ؟ .. لم يكن عليّ التخلي ولكني فعلت ولذلك سأقابل كل ذلك الألم بصدر رحب لأني استحقيته من البداية .....

رغبت في الرحيل ولكن قلبي لم يفعل ولكني تجاهلته وكدتُ أخرج من المستشفى حتى استوقفني نداء سالم لي وحين التفت له وقبل أن تسير قدمي اتجاهه .. سارعت قدم نور بالركض اتجاهي ودفعتني بيديها مرارًا وبغضب :

ـ ماذا تفعل هنا ؟ .. هل تريد تدميرها مجددًا ؟ ... كيف استطعت الرحيل ؟ .. هل ندمت الآن ؟ ... لماذا رحلت ؟ ....

حاول سالم التحكم في غضبها عن طريق إمساكها وكانت هيّ تعافر في كبح دموعها وتنظر لي كأنها تعاتبني على السنين التي مضت في غيابي وكأنها تخرج لي جزء بسيط من الألم الذي حاربته رحيل والتي أخذته هيّ وللذهول أنّ رحيل ونور ليسوا أشقاء بل أصدقاء ولذلك يبدو وكأن ألم رحيل بأكمله بات لنور ، أخذ سالم نور بعيدًا وأتى مالِك واقفًا امامي :

ـ لماذا أتيتُ ؟

ـ ماذا تقصد بسؤالك ؟ ألا تعلم ؟

ـ أعلم ماذا ؟

نظرتُ له قليلًا بإستعجاب من انعدام علمه بمن تعمل معهم رحيل ثم اتجهت لسالم الذي أشار لي :

ـ العميد طارق يناديك للصعود للأعلى مع رحيل لإقامة إجتماع سريع .. اصعد وأنا سآتي خلفك ..

أشرتُ له برأسي إيجابًا واتجهت لأعلى .. لغرفة رحيل وبدا لي الأمر وكأني أسير لمقابلتها بعد تلك الليلة وسنكرر ذلك الشجار مرة أخرى فحاولت التحكم بأعصابي وحين وصلتُ طرقتُ الباب ثم دخلت فكانت مستلقية على السرير في وضع الجلوس ونظرت لي وحمدًا لله لم تكن متعبة فجلستُ على كرسي بجانبها ولم يكن العميد طارق موجودًا فرأيته خارجًا وهو يهاتف أحدهم ... ابتسمت لي وقالت بسخرية :

ـ ماذا سيحدث الآن ؟ هل سأنهض باكية وأنا أعاتبك بدون فائدة على فقدان طفلنا .. لا أعتذر .. فقدان طفلي وحدي ..

أردتُ البكاء والصراخ والسقوط وكأنّ الألم يتوزع على جميع تلك الذكريات التي تُيقظ الحب داخلي ليبكي بخنوع لباقي المشاعر كي لا يقتلوه وما تلك المشاعر سوى الحزن ، قالت بجمود :

ـ سأعاتبك على إنعدام فرصتي لأكون أم مجددًا... أنتَ لا تتخيل مدى رغبتي في قتلك الآن .....

ـ ما الذي يمنعك ؟

اعتدلتْ تمامًا وحاولتْ النهوض لتقف أمامي ولم أمنعها وقمتُ بإخراج سلاحي وأعطيته لها وثبته بيدها أمام قلبي ونظرت أمام عينيها التي ترغب في الإنفجار والبكاء :

ـ افعلي أرجوك ... كوني أرحم مني وانهي ذلك الأمر .. إن كان هذا سيمحي ما بداخلك فافعليه ولا أهتم بحياة لستِ فيها ....

ـ أنتَ من رحلت ..

ـ أنا المخطئ والمتسبب والجاني والقاتل وبواجبك اضغطي الزناد الآن وحققي العدالة ...

ـ قتلك لن يغير الماضي ....

ـ سيغير المستقبل .. لا أريد أن اكون حولك ولكني لا أستطيع التحكم بجسدي .. أرغب في الوجود حولك وجانبك ولكنك لا ترغبي ولا يوجد حل لتلك الحرب سوى أن تسامحيني .. هل ستفعلي ؟ ..

أحكمت القبض على السلاح ونظرت لي :

ـ إن تم إعادة تلك الليلة وإن أمطرت سماء القاهرة ثلج وإن مسكنا يدا بعض وسقطنا مجددًا في القاع وإن عاد الراحل وإن توافرت فرصتي لأشعر بذلك مرة أخرى .. حينها فقط سأسامحك ...

ـ إذًا لن تسامحيني .. هل يوجد أمل لأحظى بفرصة ثانية ؟

ـ اثبت لي أنك تستحق تلك الفرصة لتنالها ...

أخفضت السلاح مع دمعتين من عيونها مقابل نهران تسللا من عينيّ وأعترف أنها ادّعت القوة بإحتراف حيثُ أنه قد يكون حقيقة :

ـ لماذا لم تضغطي على الزناد ؟ هل مازلتي ..

ـ إياك أن تقولها ...

ـ إذًا هل تحبيه ؟

نظرت داخل عينيّ وفردت ملامحها وبنبرة قوية :

ـ أحبه لأنه ليس مثلك ....

مسحت ما تبقى لي من الدموع وخرجتُ مسرعًا ولم أتوقف بنداء العميد لي ولكن توقفت في الأسفل حينما نظرت لي نور واتجهت لي حينما رأت الدموع ستنفجر من عيناي وبنبرة عتاب ممزوجة ببكاء :

ـ كان كل شئ على ما يُرام .. كنتما بخير معًا وسترزقان بطفل .. حسنًا مررتم بأمر سئ جدًا ولكن معًا كنتما ستتخطون كل شئ .. لم يكن يجب عليك الرحيل .. هل غيّرتك السنين بشدة أم مازلت أخي تميم الذي أحبه ؟ ....

ابتعدت بدموعي عدة خطوات للخلف ثم التفتُ وهممتُ بالرحيل ولكنها صرخت ببكاء :

ـ أخي .. هل سترحل مجددًا ؟

التفت لها راكضًا وفتحت ذراعيّ فأتت لتتخفى داخلي ببكاء وأنا أحدثها بندم :

ـ اعتذر .. أعتذر بشدة .. لم يكن عليّ الرحيل .. لم يكن عليّ تركككما .. أعتذر .. أنا مخطئ .....

خرجت من داخلي بعد فترة وجيزة ومسحت دموعها وبعد إستجماع قوتها قالت :

ـ أنك لا تستحق أن أكون أختك ولا تستحق إشتياقي أو حبي كما أنك لا تستحق فرصة ثانية .. رحيل تكون شقيقتي بالروح ومن قبل أن أعلم أنك شقيقي بالدم .. كانت شقيقتي وستظل دائمًا وما فعلته لها كأنك فعلته لي أنا لأنني هيّ وهيّ أنا .. إذا حاولت إيذائها لأي سبب وتحت أي ظرف فأنت تعلم جيدًا أنني أستطيع قتلك وأتمنى أن تكون على دراية أنّ اعتذارك لن يغير أي شئ ولو اعتذرت ألف مرة لألف عام .....

تركتني والتفتت وكأنها تتركني للأبد ولكني استحقيتُ ذلك من البداية ، تركت المشفى ذاهبًا لمنزلي والذي كان بعيدًا وللحقيقة لم أعلم كيف وصلت حيثُ بدت لي الساعات دقائق وفقط لم أكن أرغب سوى بالنوم الذي أهرب إليه من العالم حيثُ أحظى ببعض اللحظات الخيالية السعيدة مع أحبائي التي من المستحيل أن تكون واقعًا .. النوم حل لجميع مشاكلي لأنني لم أعد أملك القوة لمواجهة أصغر الأشياء وأقسم ان جاء أحدهم و حاول قتلي الآن لن أهتم ولن أقاوم فقد سئمت محاولة البقاء قويًا أثناء الوحدة التي تركها لي القدر .. سئمت إحتضان نفسي وعدم وجود من يشدد على عضدي ولكن لا يهم .. كل ما يهم هو أنها بخير ولا تدّعي القوة بل هيّ قوية بالفعل ، لربما يومًا تعلمني كيف أكون قويًا ؟ ... أغمض عيناي بشدة فتهرب دموع والأمر الأسوأ أني لم أعد أشعر بشئ سوى الحزن والندم الذي يأكل قلبي وينهش سعادتي وكأن تلك الليلة أعيشها أنا يوميًا وكأنها لم تنتهي ومرت السنين ولكن لم يأتي الصباح ولذلك يجب عليّ النوم كي يأتي الصباح بسرعة وتأتي السعادة بجوار الشمس .....

****

(قبل خمسة أعوام)

أغسطس , القاهرة عام 2013

الليلة مظلمة بشدة ولكنها لم تكن كتلك الليالي التي دائمًا ما انتهت بحزن حيثُ كان القمر منيرًا بالقدر الذي يجعل الصحراء بأكملها لا تحتاج لضوء وبجانبه النجوم التي تبدو وكأنها مصابيح تتوزع بالتساوي لتُساهم في توهج الصحراء ...

رحيل تسير وهيّ تنظر حولها بخوف ممسكةً ذراع تميم حيثُ أنه قد ملل منها قائلًا :

ـ رحيل .. رحييل ..

ـ نعم .. ماذا تريد ؟

ـ اتركي ذراعي في الحال ..

ـ لا لن أفعل ..

ـ لماذا ؟

ـ أنا أخاف من الظلام

رفع حاجبيه بدهشة وقال :

ـ تخافي الظلام ..! أتمزحين ؟

ـ هل ترى أنني في حالة تسمح لي بالمزاح ؟

ـ ماذا تفعلين في كلية الشرطة إذًا ؟

ـ لا أعلم .. كانت رغبة والدي ....

ـ والدك ..! .. ألم .. نور ..

ـ والدنا أنا ونور بالتبني ...

ـ حسنًا .... أحقًا تعاني من فوبيا الظلام ؟

ـ لا .. أرغب كثيرًا في إحتضان ذراعك

ـ لا تغضبي ...

ـ فهمت أنت لا تريد وجودي .. تريد أسيل صحيح ؟

ـ بربك رحيل .. ليس وقته أبدًا ..

ـ لماذا ليس وقته ؟ أنت في كل الأحوال تحبها ...

ـ من الذي أخبرك أني أحبها ؟

ـ جسدك ..

ـ ماذا ؟

ـ لغة جسدك وجميع تصرفاتك وأقوالك تشير إلى أنك تحبها ..

ـ بلى .. تشير إلى أني أحب ولكن ليس هيّ ..

ـ لا تقول ذلك ... هل سأضطر عمل ابحاث عن واحدة أخرى من جديد ؟

ـ لماذا تقومين بعمل الأبحاث ؟

ـ لأنّ .. نور تريد أن تعلم كل شئ عنك ولذلك أساعدها ....

ـ نور ! متأكدة ؟

ـ بالطبع .. أتعلم أنّ....

قاطع كلامها صوت حيوان فاتسعت حدقتا عيناهما :

ـ أذلك ذئب ؟

ـ بلى إنه دب ..

ـ هل يأكل الدب اللحم البشري ؟

أشار تميم رأسه بالإيجاب فصرخت رحيل وأحكمت القبض على يده وركضت وهو خلفها وأثناء الركض :

ـ رحييل .. لربما يكون إختبار لكِ من رئيس الفرقة

ـ اللعنة على رئيس الفرقة والفرقة واليوم الذي اخترت فيه تلك الكلية .....

ـ حسنًا ..اهدأي ...

ـ أهدأ ..! لن أموت مأكولة على يد دب يراني طعام

ـ من الممكن أن يكون ذئب ....

ـ هل هذا ما يهمك ؟ .. ففي كل الأحوال سنموت كطعام ...

ـ رحيل ... لنقف قليلًا ....

ـ لن نقف .. فقط اركض ...

وقف تميم وامسكها بشدة :

ـ تنفسي .. لن نموت كطعام .. هل تسمعين أي شئ ؟ ... لا يوجد حيوان يطاردنا وتذك....

يعلو صوت ذاك الحيوان المجهول مما يُشير أنه اقترب منهما بشدة ، تميم ارتجف وقال بخوف لرحيل التي كانت مندهشة :

ـ هل هو خلفي ؟

ـ لا أرى شئ من الظلام

ـ هل سأموت مأكول ؟

ـ لا سنركض بشدة ولن يستطيع اللحاق بنا ...

ـ حسنًا ... سأمسك يدك بشدة ثم سنركض ...

ـ وإذا تركتها سأقتلك ... وإن مت شبحي سيزورك كل ليلة ...

ـ لن نموت ...

مسك يدها بشدة وصرخا الإثنان في نفس اللحظة وركضا اتجاه طريق مجهول لا يعرفا نهايته ومر عدة دقائق حتى وجدا حفرة :

ـ تميم .. لنقفز ...

ـ نقفز في الحفرة ..!

ـ لن نستطيع الركض أسرع في الرمال .. سنختبئ في تلك الحفرة حتى الصباح ....

ـ وإن لم يجدنا الفريق ....

ـ وقتها لن نموت مأكولين ...

ـ سنقفز في القاع .....

ـ سنقفز في القاع .....

أمسك تميم بيد رحيل وبعد العد قفزا إلى القاع ثم....

****

" لقد رأيتك في حُلمي ، الألم جعلني أستيقظ "

رحيل

رأيتُ أحلامي تتلاشى شيئًا فشيئًا لتسقط متحولةً لحطام مزين بالألم ويكاد داخلي يصرخ راجيًا من القدر أن لا يدمر الشئ الوحيد الذي تودد للحياة به أحقًا تلك قوة ؟ أم إنه ضعف متوج بالخذلان ومغلف بالقوة ليخفي هويته الحقيقية .....

لماذا لا نسير معًا يدًا بيد حتى الفصل الأخير من الحياة ؟ ... لماذا يخص القدر الجمال والسعادة فقط بالبدايات ؟ ...

استيقظت في المستشفى وكانت نور بجانبي وجانبها سالم ولم أشعر بوهن أبدًا :

ـ الأطفال ..؟

سالم : بخير وسيتم توصيلهم لعائلاتهم بعد القيام ببعض الفحوصات الروتينية ....

ـ الملفات والدلائل ..؟

سالم : تنتظرك في قسم التحقيق

نور : إنتهيتِ ؟

ـ نور أرجوكِ لا أرغب في سماع عتاب أو لوم ....

نور : حسنًا .. هل أنتِ بخير أم استدعي الطبيب ؟

ـ أنا بخير تمامًا ولكن متى سأعود للعمل ؟ ..

سالم : بعد يومين ...

ـ بعد إثنتا عشر ساعة

نور : رحيل .. !

ـ لن نتحدث في ذلك الأمر .. سأعود للعمل صباح الغد .....

سالم : نحن بالأسفل .. سنكمل بعض الملفات الخاصة بدخولك المشفى ..

نور : مالِك بالأسفل أيضًا إذا رغبتي برؤيته أخبريني ...

يبدو أنّ مالِك لا ينال مني سوى الظلم وأعلم ذلك ولكن هو من وافق من البداية على تلك العلاقة على الرغم من كل شئ .....

أتى العميد طارق بعد تأكيدي له أني بخير وأخبرني عن ضرورة إجتماع ثلاثتنا كي نناقش آخر المستجدات ثم طرأ له هاتفًا وخرج ثم أتى لي تميم ولا أعلم ما الذي دهاني أثناء وجوده ولا أعتقد أنني بالغت ولا أشعر بذرة ندم واحدة ولكني حزنتُ قليلًا على الوقت الذي سأضطر لإنتظاره حتى إقامة الإجتماع الثاني فالعميد أخبرني عن رغبته في التأجيل للغد بسبب عدم وجود تميم ثم رحل وبعد رحيله بدقائق أتت لي نور ولم أشعر أنها بخير ولذلك :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ بالطبع .. ماذا عنك ؟

ـ متأكدة ؟

ـ نعم بخير .. لماذا لا أكون ؟

تكذب أعلمها جيدًا .. هيّ أكثر من أعلمه ولكن لماذا تضطر للكذب عن كونها بخير أم لا ... لم أفهم فكررتُ سؤالي عدة مرات ولكن إجابتها كانت واحدة لم تتغير حتى كدتُ من فقدان صبري وفقدت التحكم في نبرة صوتي على الأقل :

ـ نور .. ما الذي حدث حتى جعل ملامحك تتغير ؟

ـ لماذا لم تخبريني بوجود تميم ؟

ـ علمت صباح اليوم فلم أجد فرصة لإخبارك ...

ـ لا تكذبي عليّ .. تميم أتى منذُ يومين ولم تكلفي نفسك لإخباري .. أحتاج إلى سبب مقنع الآن لأني لا أريد التشاجر .....

ـ حسنًا .. اهدأي ....

ـ أنا هادئة وصدقي أني أتحكم بغضبي بصعوبة بالغة .....

بدأت عيناها تشيع برغبتها في ذرف الدموع وكانت تنظر لي وبغضب مكتوم :

ـ لماذا دائمًا تفعلي ذلك ؟ ... أنا لستُ بحاجة حمايتك ... لم تخبريني بوجوده لأهيأ نفسي للقاء على الأقل ....

ـ أعتذر نور .. لم أكن...

ـ لماذا ؟ .. أحتاج سبب ..

. .....

. هل إعتقدتِ أني سأتركك و..؟

لم اجيب ومازالت دموعي من تتحدث ولكنها علمت الحقيقة ولذلك إحتضنتي وببكاء :

. أعتذر بشدة ولكني لم أرد أن تتركيني..

ركلت ظهري بيدها واردفت :

. أنتِ عالمي .. شقيقتي الوحيدة .. عائلتي .. وهو المخطئ ومن لا يستحق المغفرة ....

. نور .. أعتقد أني أخطأت اليوم ...

. ماذا حدث ؟

. أعطيته فرصة ليثبت أنه يستحق فرصة ثانية ..

. لم أفهم ..

. أخبرته بعدة أشياء إذا حدثت سأسامحه .. وأيضًا يجب عليه إثبات انه يستحق ففرصة ثانية لينالها ...

. ما تلك الأشياء ؟

ـ إعادة تلك الليلة وإن أمطرت سماء القاهرة ثلج وإن مسكنا يدا بعض وسقطنا مجددًا في القاع وإن عاد الراحل وإن توافرت فرصتي لأشعر بذلك مرة أخرى .. حينها فقط سأسامحك ...

ـ أتمزحين ؟

ـ لماذا ؟

ـ تتذكري كلامك معه حرفًا بحرف ....

ـ لا .. لا .. فقط .. أنا....

ـ على كلٍ من المستحيل حدوث كل تلك الأشياء ولكن هناك أمر غايةً في الأهمية ....

ـ هل تريدي إعطاؤه فرصة ثانية ؟

ـ إذا استحقها .....

ـ هل تعتقدي انه يستحقها ؟

ـ لا أعلم ولكني أشعر بشعور شديد الغرابة نحوه ..

ـ اووووووه ... أتذكر أنكِ أخبرتيني نفس تلك الجملة منذُ عدة سنوات ..

ـ نور لا تروغي معي ... ليس حبًا .. لم أشعر بذلك ناحيته من قبل .....

- حسنًا لا يهم .. يجب عليكِ النوم الآن فالحرب لم تنتهي بعد .. وتذكري جيدًا بعد إنتهاء تلك القضية ستقضي معي شهر كامل بدون عمل ....

- شهر ..! .. ألم نتفق على أسبوعين ؟

- بلى ولكن كلما أصبتِ .. كلما طالت المدة أكثر ..

- ماذا عنكِ ؟

- ماذا عني !

- تحدثنا عني ولكن لم نتحدث عنك ....

- ما حال سالم ؟

- شديد البرود ويتعامل كأننا أصدقاء .. لا ليس أصدقاء بل إخوة ...

- إخوة !

- من الجيد أنه أُصيب كي يظل معي مزيد من الوقت فدائمًا ما كان ينشغل عني بقضيتك ....

- صديقي العزيز .. أراهنك أنه يحاول العودة للعمل بأسرع وقت ممكن ....

- رحييل ... اخلدي للنوم .. انتهت الليلة ...

- ستذهبي للمنزل ؟

ـ اذهب وأتركك في المستشفى ..!

ـ لا تنامي على تلك الأريكة الصغيرة بل بجانبي ...

أتت بجانبي لنتشارك كلانا سرير واحد مثلما نفعل دائمًا في كل شئ .. فحياتنا وعائلتنا ومنزلنا وطفولتنا واحدة .. لستُ كاملة بدونها وهيّ كذلك ..

لا أعلم ما ستهديه لي الحياة في الغد ولكني أعلم أني محاربة وسأظل أكافح للوصول لمُرادي .....

هلّ صباح آخر لتلك الليلة التي لا تنتهي منذُ خمس سنوات وبدأ اليوم بنور وأنا أحاول إيقاظها من نومها العميق والذي يُعتبر كمرض الغيبوبة ولا تستيقظ منه بدون حدوث كوارث طبيعية ، حاولت كثيرًا النداء بإسمها حتى آلمني حلقي حتى انتهي بي الأمر برش بعض المياه على وجهها فإستيقظت بفزع :

ـ ماذا حدث ؟

ـ تُوفى ...

ـ من ؟

ـ وعيك ... مرّ ساعة كاملة وأنا أحاول إيقاظك حتى شككتُ أنكِ مريضة ... سأذهب للعمل ..

ـ اذهبي إذًا .. لماذا تيقظيني ؟ ...

ـ أنا المريضة هنا .. ألن تخبريني بعض النصائح التي أحفظها منك مثلما تفعلين دائمًا ؟ ..

ـ بالظبط .. أقول دائمًا نصائح ولا تسيري عليها و أعتقد أنه يجب عليكِ تأجير تلك الغرفة فكل شهر نأتي هنا ...

ـ إلى اللقاء ..

ـ انتظري .. ستأخذي الدواء في ميعاده وتذكري لدي أيضًا عمل ولا أملك الوقت الكافي لأذكرك .. ستنتبهي جيدًا ولن تستسلمي أبدًا وستكافحي حتى تؤلمي أؤلئك الأوغاد وتنتقمي منهم جيدًا ولكن لن تؤذي نفسك وتحدثي معي إن اردتي المساعدة ففي النهاية لا يملك الجميع محامية على هيئة صديقة ...

ـ انتبهي على سالم ...

ـ بالطبع .. وانتي حاولي أن تكوني هيّنة قليلًا مع تميم ... أعلم أنه مخطئ ولكن دعيه يثبت إن كان نادمًا أم لا .....

ـ ألا تعتقدي أنه وحيد وليس معه من يسانده ؟ ...

ـ أعتقد ولذلك يجب أن تقللي من غضبك .....

ـ حسنًا .. سأحاول اللين معه قليلًا ....

بعد توديعها توجهت لقسم التحقيق لمناقشة آخر المستجدات وأحاول جمع كلماتي المتبعثرة تحسبًا لمقابلته وكأني طفلة وروحي خائفة من الوقوع في الحب مجددًا من الشخص نفسه الذي سبق له وان دمرني واسقطني وحدي في القاع

بعدما وعدني بعدم التخلي ، لا يجب أن أقع في ذلك الفخ مرة أخرى .. لا أملك ذلك القدر من الغباء .. حتى إن نجح في إثبات انه يستحق فرصة ثانية .. لن أدع روحي تهوى طيفه مرة أخرى مهما حدث .....

عندما وصلتُ تعالت التهنئات على النجاح في إحضار دليل والدعوات بالشفاء التام ونجحت في الهروب ذاهبةً لغرفة مكتبي التي سبق زاد الإشتياق داخلي اتجاهها على الرغم من أنه كان يومًا واحدًا فقط ولكنه ملئ بالأحداث كشهر كامل ....

أمسكت زجاجة الياسمين الخاصة بي وأخذتُ أجعل عطرها يفوح في الغرفة بأكملها ليعلن عودتي بخير كالعادة ولكن تلك المرة لم تحميني قلادتي لأني نسيتها ولكن تميم أنقذني .. لا لقد ساعدني فقط ...

أعتقد أنه يجب عليّ شكره قبل بدء الإجتماع .. سأشكره لأننا لسنا بالقرب المعنوي الذي يجعلني أتغاضى عن مساعدته ، تأكدتُ من إرتداء قلادتي ذي زهرة الياسمين كي تكون بديلًا للماضي وذهبت لأبحث عنه فسألتُ أحدهم فأخبرني أنه يحتسي القهوة فقررت الذهاب له وشعرتُ بحماس رائع وكأني أقابله للمرة الأولى وأجهز كلماتي التي هيّ عبارة عن شكر فقط ولكنها بدت لي سطور طويلة تحكي ليالي بدونه ، رأيته يجلس على طاولة وأمامه كوبان قهوة كأنّه يشعر بقدومي ، اقتربت ولم يلاحظني وعندما كانت الكلمات على حافة فمي :

- تمي.... أسيل !

أسيل : رحيل .. أنتِ هنا .. كيف حالك ؟ ...

- بخير .....

رمقته بنظر مهيبة تُوحي بقيام إعصار سينتهي بحياة كلانا ثم سرتُ مبتعدة بعدة خطوات فأتي من خلفي ليحاول إيقافي :

ـ رحيل .. رحييل ....

حاول إيقافي بإمساك يدي :

ـ لا تجرؤ حتى على لمسي .....

ـ حسنًا .. أعتذر .....

ـ أشكرك على مساعدتي بالأمس فقط .....

ـ فقط ؟

ـ بالطبع .. ماذا تريد أن تسمع ؟

ـ أسيل أتت لي البارحة لأنني ....

ـ ماذا تقصد ب أتت ؟ إلى أين ؟

ـ منزلي ..

ـ منزلك ..! وأنتَ تركت المشفى في العاشرة ليلًا .. وقت مثالي للزيارة ....

ـ حاولي أن تفهمي .....

ـ حاولت .. صدق أني حاولت وقلقت قليلًا لأنك وحدك .. ولكن لا أعتقد أنك بالفعل وحدك .....

ـ رحيل ... أتت الآن ....

ـ الآن ! بربك تميم .. اكذب بشكل جيد على الأقل ..

ـ لا أكذب ....

ـ يوجد كوبان قهوة ...

ـ لكِ الكوب الثاني ...

ابتسمت قليلًا ثم اقتربت منه :

ـ أهكذا تثبت إستحقاقك لفرصة أخرى ؟ .. بإجتماعك مع المرأة التي سبق وتدمرت حياتنا بسببها .. أو بسببك ....

ـ لا تفعلي ذلك .. أرجوكِ ....

تركته وسرتُ للخلف وهنا انتهت كل فرصه لتوضيح أي شئ .. بل بالأصل اللعنة عليّ لأني المخطئة بكل ذلك وما الذي توقعته منه على أي حال ؟ ... لم يكن وحده ليلًا بل معها مثلما فعل قديمًا ....

****

" يقولون أنه ليس لديكِ قلب ولكني أعلم أنّ
لديك وما أحبه خجلك من الجهر به "

مقتطف

تعيم

لا يوجد ما يمكن فعله بخصوص الحب فالأمر لا يتعلق بنا بل بإختيار القدر للشخص الذي سنقع معه في الحب .. نقع فيه وكأنه فخ تم نصبه مع سبق الإصرار والتعمد بدون رغبة لنا أو ذنب ولا يوجد مفر والأمر الأسوأ أنّ الحب يرافقه الحزن كالظل ..

ترحل من أمامي وكأنّ دنياي تعود للأسود كما كانت بعدما قررت أن تكون رمادية قليلًا ، كانت لديّ فرصة وعلى ما يبدو أنني خسرتها وبالشكل الذي لا يجعلها تنظر لي مرة أخرى ولكني حقًا أنتهي .. لا أملك قوة كافية لأي شئ .. انتهى كل ما بداخلى حتى الحزن والوحدة .. بقيتُ أنا مُحاط بالاشئ ويستمر الفراغ بوضع هالة حولي وكلما رغبت السعادة في القدوم تنكفئ مجددًا للبداية ....

لم يحدث شئ أمس .....

(أمس)

سرقني النوم لحوالي ساعتين حتى استيقظتُ على صوت الباب بشدة وكأنّ أحدهم هنا لقتلي وابتسمت لأنّ القدر استجاب أخيرًا لأمنية عابرة ولكنها كانت من أعماقي وذلك يكفي ، نهضت لفتح الباب لأتفاجأ بأسيل أمامي بإبتسامة ساذجة وبجانبها حقيبة ملابسها ودخلت دون إذن ثم إبتسمتُ أنا قائلًا بسخرية في داخلي : ومنذُ متى يستجاب القدر لمطالبي ، بعد دخولها كانت تنظر للمنزل بعشوائية وقالت بسخرية :

ـ المنزل ينطق بعدم وجود امرأة فيه ...

ـ هذا أفضل من عدم وجود امرأة الياسمين ....

ـ ألن تدعوني للجلوس ؟ ..

ـ لا أعتقد أنك بحاجة دعوة ...

ـ تميم ... لا تفعل ذلك .. تعلم أنّ كل ما حدث كان رغمًا عني .....

ـ لماذا أتيتِ إذًا ؟

ـ تذكرت ما حدث ....

ـ ماذا ! .. ماذا تذكرتِ ؟ ..لماذا لم أتذكر أنا ؟ ..

ـ استرخي تميم .. فقط ضباب مشوش ...

ـ كيف تذكرتِ ؟

ـ حينما أخذت تلك الحبوب ....

أخرجت من سترتها حبوب واردفت :

ـ تلك حبوب خاصة بفيتامين الذاكرة أي إنها تقوي الذاكرة ..

ـ ولماذا أثق بكِ ؟

ـ لأني لستُ بذلك السوء الذي يجعلني أتغاضى عن تبعثرك الدائم .. نحن أصدقاء على الرغم من كل ما حدث ...

ـ لا لسنا كذلك ..

ـ تميم .. أنت كنت تحب رحيل وأثق أنه لم يحدث شئ في تلك الليلة .. عدم تذكرنا لا يعني أنك بالفعل خنت ثقة رحيل بك .. بربك كانت تنتظرك في المنزل وكما أخبرنا النادل رحلت قبل العاشرة مساءً

فقدت التحكم بنبرة صوتي :

ـ بما أنه لم يحدث شئ .. لماذا زارتنا عائلتك كضيف غير مرغوب فيه بعد منتصف الليل ؟ ....

ـ تعلم أنّ الأمر لم يكن بيدي وتعلم أيضًا أنها ليست عائلتي سوى بالدم .. لم أكن أعلم بقدومهم ...

ـ لا يوجد عذر يغفر لي أو لكِ ما حدث ...

ـ إن تذكرنا ما حدث .. هل سيساهم هذا بأي شئ ؟

ـ لا أعتقد ...

ـ رحيل لا تعلم أنك لا تتذكر ...

ـ لم يكن عليّ تركها في ذلك اليوم ...

ـ هل يوجد ما يمكنني فعله ؟ ..

ـ يوجد .. ولكنها مهمة صعبة جدًا ...

ـ ماذا .. ؟

ـ هل يمكنك قتلي ؟

ـ اووووه .. تمهل قليلًا ! ... أنت لست بخير ...

ـ فقط افعلي ذلك ...

ـ يجب عليك المحاربة و....

ـ اللعنة على الحرب والقدر والقوة و الحزن وعلى تلك الليلة ... لا أستطيع .. استُهلِكت .. انتهيت ... ألا يمكنك فعل ذلك ؟ .. انظري لن يصيبك شئ سيظهر تمامًا وكأني انتحرت و...

ـ ماذا تهذي تميم ؟ .. عُد لوعيك ...

ـ لا يمكنني الإنتحار ولا يمكنني العيش ..

ـ حسنًا اهدأ ....

ـ لدي اقتراح ...

ـ سأتبرع بجميع أعضائي ...

ـ يا إلهي .. أنتَ لستَ بخير حقًا .... حسنًا سأقتلك ولكن بشرط ...

ـ ماذا ؟ ..

ـ ستحاول للمرة الأخيرة .. ستأخذ الدواء وستتذكر وسنخبر رحيل بكل شئ ...

ـ لن تسامحني ...

ـ ستفعل ... من يحب يسامح ....

ـ ولكنها لم تعد تحبني ....

ـ تميم ... ستثبت لها أنك لم تخطئ وستعرف كل شئ وستقعوا سويًا في الحب مجددًا وستسامحك وستعطيك فرصة ثانية وستنتهي تلك الليلة وسيصبح لديكم أطفال ... ستحاول للمرة الأخيرة .. وإن لم ننجح سأقتلك ... حسنًا ..؟

ـ حسنًا ....

ـ سأذهب للفندق المجاور وإن احتجت شئ فقط هاتفني ..

****

فقط .. ستساعدني لأجعلها تسامحني .. لماذا تشعرني دائمًا أني مخطئ بكل ما أفعله وبكل ما سوف أفعله ؟ .. وكأنها تتعمد عدم مسامحتي ولكنها محقة في كل ما تفعله حتى تعود إليّ ذاكرتي وأعلم هل بالفعل خنتُ ثقتها أم تلك لعبة دنيئة فرضها القدر علينا ؟ .....

بعد ذهاب رحيل التفت لأسيل :

ـ لماذا لم تخبرني بوجودها ؟

ـ ولماذا أخبرك بوجودها ؟

ـ كي لا آتي ...

ـ لماذا أتيتِ ؟

ـ إليكَ .. تقرير المشفى عن الدواء الذي أحضرته أمس لأني أعلمك لا تثق بسهولة .. سأرحل الآن ..

أبدو فظ قليلًا ولكن ليس بيدي حيلة .. كلما حاولت السير في طريق العفو أجد نهايته معدومة وللذهول أكتشف أنه يكاد يصبح طريق حياتي ، كيف يكون الوصول إليكِ بتلك الصعوبة على الرغم من شدة قربك مني ؟ .. أرواحنا ظلت عالقة في نقطة فانية بين السماء والأرض وإن انكرتِ ذلك آلاف المرات سيصبح حقيقة لا تتغير .. كان بيننا شيئًا جميلًا ومازلتُ أشعر به عند لمسك وأتمنى ان

تشعري بذلك الشئ الجميل أيضًا .. القدر سيهدينا لحظة أخيرة جميلة من الماضي قبل رحيلي عن ذلك العالم عزيزتي .. عليكِ فقط بالعلم أنني أحببتك وأحبك وسأظل رغمًا عن أنف كل شئ .. ولا أصدق أنني ذهبت لأخرى في وجودك .. بالتأكيد قلبي لم يسمح لي بإرتكاب تلك الخطيئة .. وإن لم نملك حظ في الدنيا لنكون سويًا فيكفيني الذكريات التي قضيناها سويًا في تلك الفترة القصيرة .. ستكون غذاء للحب في قلبي ... أهوى طيفك يا امرأة الياسمين ....

اخطأت مجددًا و وقعت في حبك مرة أخرى ومازلتُ أتقبل حبي لكِ كجائزة على الرغم من أني لا أنال منه سوى الألم ولكنه منك ....

لو أقدر فقط على جعلك تسامحيني كي لا يتألم قلبك الجميل ذلك .....

أتناول القهوة فقط لأنها تذكرني بكِ وأنت تعلمين جيدًا أني لم أحب القهوة يومًا وفي كل مكان أذهب له أطلب كوبان قهوة على أمل انكِ ستأتين لي كما كنا نفعل قبل خمس سنوات ولكن لم تأتِ أبدًا وحينما اقتربتِ ظهرت ذكرى سيئة من الماضي مجددًا لتمنعك من الوصول لكوب قهوتك أو الوصول إليّ ولكن لا بأس .....

حان وقت بدء الإجتماع وذهبت كجثة هامدة محاولًا التماس بعضًا من القوة من أي شئ وكل شئ ، عند وصولي رأيتُ رحيل تقف متحكمةً بعينها ولا تنظر لي والعميد طارق رافعًا حاجبيه وصافحني :

طارق : لماذا رحلت أمس بتلك السرعة ولم تتوقف حتى عندما ناديتك ؟

ـ وردتني مكالمة طارئة و وجب عليّ الرحيل وأعتذر لم أسمع صوت ندائك ..

طارق : ليس مهمًا ... مبارك لكما قمتما بعمل رائع أمس وتجمعت في يدنا العديد من الدلائل ....

رحيل : كيف حال ذلك المصاب الذي تم نقله ؟

طارق : نجحت عمليته وهو الآن في العناية الفائقة تحت الحماية الشديدة ..

ـ كان يخبرني أشياء عن موت الجميع ولن تجدها أبدًا قبل أن يحاول الإنتحار ...

طارق : نعم .. ألا يوجد لديك اقارب أو أي أحد اختفى من قبل ؟ ..

فكرت قليلًا ولم أجد في ذاكرتي شئ :

ـ لا ليس لدي أحد ..

رحيل : ربما يحاول تمويهنا ..

طارق : اسمه عارف .. لا يوجد لديه أي سجل جنائي أو شكاوي .. ليس مصريًا وليس متزوجًا .. هاتفه بغرفة الدلائل الآن ولكن أحدهم حادثه بعد وصوله المشفى بساعة وقمنا بتحديد مكانه وذهبنا لذلك المكان فكان بيتًا عاديًا و وجدنا بعض الوثائق والملفات التي تثبت وجود صلة قرابة بينه وبين الأشقر وعزيز .. أي انه تنظيم عائلي .. الأشقر والد عزيز وعارف .. وجدنا في المنزل أيضًا طفلة ذات خمس أعوام ومربية وما علمناه من تلك المربية أنّ عزيز كان يرفض الإنضمام لتلك الأعمال ولكن بتهديد عارف بالإبنة .. اضطر عزيز رغمًا عنه .. الأمر المثير للدهشة أنّ عزيز لم يتزوج قط ولم يكن لديه حبيبة ولم يسافر خارج البلاد وكان انطوائيًا بشدة .. قمنا بأخذ عينة منه ومن الفتاة لنرى إن كانت ابنته حقًا أم لا .....

رحيل : ما اسم الفتاة ؟

طارق : غفران

ـ أين هيّ ؟

طارق : في الداخل ..

ـ هل سنعطيها لوالدها ؟

طارق : ليس قبل أن نتأكد أنه والدها ..

رحيل : أيمكن أن يراها فقط ؟

طارق : بالطبع لا ..

ـ بقية المعلومات ؟

طارق : عملية الأمس .. ثلاثة مراحل كما أخبرنا عزيز .. المرحلة الأولى عبارة عن توزيع أكبر شحنة من المخدرات على التجار في الوطن العربي وتم تنفيذها بمعنى أنه تم بالفعل توزيع تلك المخدرات على التجار ولكن يوجد ملف ينص على عدم بيع تلك المخدرات سوى بعد انتهاء المرحلة الثالثة وفي نفس الملف اماكن هؤلاء التجار ومنافذ بيعهم وجاري البحث عنهم من قِبل قسم مكافحة المخدرات سرًا حتى لا يتم لفت الأنظار ...

ـ من هو الأشقر ؟

طارق : الأشقر ليس سوى منفذ للعملية .. للأسف يوجد من هو أكبر وأخطر منه بكثير ..

رحيل : المرحلة الثانية ؟

طارق : كان يتم تسليم دفعات من الأطفال كل أسبوع لمدة شهرين .. ذهبنا للمكان الذي يتم أخذ الأطفال إليه عادةً و أشعر بالعار وأنا أقول ذلك ولكن لم نستطع إنقاذ سوى النصف ... التسليم الأكبر الذي أخبرنا عزيز به هو محاولتهم لجمع ضعف العدد الكلي للأطفال ليتم التسليم بعد أربعة أيام .. فشلت تلك الخطة ..

رحيل : المرحلة الثالثة ؟

طارق : قام عارف بحرق الملفات ولم نعلمها ولكن سيتم تنفيذ المرحلة الثالثة خلال ست أيام كما أخبرنا عزيز .. ولا يوجد الآن مفر سوى التحقيق مع عزيز والأشقر ..

ـ ألم تكن هناك أي عناوين لأصدقاء أو شركاء ؟

طارق : بلى .. ولكن هرب الجميع عند علمهم باقتحام مكان التسليم .. ولا يوجد في ذاك المكان سوى بصمات عارف وعزيز والرجلين وبعض الحُراس ..

رحيل : أرقام الهواتف أو سجل هاتف عارف ؟

طارق : حذف كل شئ وجاري محاولة إرجاع تلك الأرقام .... ولكن يوجد حل ..

ـ ماذا ؟

ـ التحدث مع غفران ...

رحيل : بربك .. طفلة في الخامسة .. ماذا ستعلم ؟

طارق : مكان والدتها .....

ـ لا أعتقد أنّ عارف يكذب بخصوص مَن تحدث عنها ...

طارق : حسنًا .. لكن من هيّ التي من المفترض أن تبحث عنها في العالم بأكمله ولن تجدها ؟

ـ لا أعلم ولكن لغة جسده تُشير إلى أنه صادق ...

رحيل : حينما تتذكر أخبرنا .. ألا تعتقدا أنّ مِن الممكن أن تتغير الخطة خاصتهم لأنهم علموا بتدخلنا ؟

ـ لا أعتقد ذلك .. الأشقر دائمًا ما كان يخبرني بإنعدام توقف تنفيذ الخطة مهما حدث ..ولكن ربما سيقوم بجعل موعد التنفيذ أبكر ...

رحيل : صحيح ! .. أنتَ عملت جاسوسًا معه لأشهر .. ولكن لا تعرف كل تلك المعلومات .. كيف ذلك ؟

طارق : هل يجري الشك بعروقكِ بدلًا من الدماء رحيل ؟ ... لم نكن سنقبض على الأشقر من الأساس سوى بمساعدة تميم ....

ـ ماذا سنفعل الآن ؟

طارق : سيتم التحقيق مع الفتاة ويوجد عدة أرقام....

قاطع الإجتماع صوت دق الباب فدخل كريم بيده بعض الملفات وبعد أخذ الإذن قال :

ـ انتهينا من إقامة بعض الأبحاث عن الأرقام التي تحدث معها هاتف منزل عارف ولم نجد سوى رقم واحد فقط لممرضة تعمل في احدى المستشفيات تُدعى سارة والمثير للاهتمام أنّ حساب سارة البنكي يتم تحويل مال إليه شهريًا بمبالغ ضخمة لا تناسب ممرضة فقيرة ويتم ارسال ذلك المال من حساب عزيز البنكي ....

رحل كريم بعد ترك الملفات والتساؤلات :

رحيل : سنذهب لتلك الممرضة ولكن قبل سنتحدث مع غفران .. حسنًا ؟

طارق : حسنًا ...

ذهب ذهني قليلًا في التفكير بالتي سأبحث عنها في العالم بأكمله وستكون بجانبي ولن أراها ، سرتُ خلف رحيل للذهاب لغفران فرأيناها من خلف الباب .. جميلة للحد الذي يجعلها تبدو وكأنها ملاك نزل لتوه من السماء .. تمتلك بسمة قادرة على شفاء كل شئ .. ظننتُ أنني أبالغ ولكن رحيل هيّ الأخرى تشعر بذلك أيضًا ، فتحت رحيل الباب بعد تركه وذهبت لها بإبتسامة :

رحيل : مرحبًا غفران .. أنا رحيل ...

غفران : لماذا الكل هنا يعلم اسمي ؟

ـ أنا لا أعلمه ...

ـ لا تكذب .. كيف لا تعلم وقد قالته أمامك ؟ ..

ابتسمت رحيل بسخرية وهمست لي :

ـ أخبرتك من قبل أنه يجب عليك تعلم الكذب ...

غفران : سمعتك .. لا داعي لخفض الصوت ..

ضحكت رحيل لتظهر غمازتيها وأذوب أنا كقطعة مثلجات أمام تلك البسمة التي اعتقدتُ دائمًا ولخمس سنوات أنها ستظل مجرد حلم ولكن وأخيرًا أهداني القدر تلك اللحظة التي تمنيتها قبل أن أموت وقاطع تأملي في ضحكة رحيل :

غفران : هل تحبها كثيرًا ؟

نظرت رحيل لي بدهشة وبادلتها أنا النظرات :

غفران : لا داعٍ للتوتر .. أنا أفهم تلك الأمور ...

رحيل : كيف تفهميها ؟

غفران : ينظر لكِ مثلما ينظر يوجين لربونزل ومثلما نظر الامير الوحش لبيلا ومثلما أنظر أنا للنجوم ليلًا منتظرة بيتر بان ليأتيني ....

ـ ربما تكوني محقة ...

غفران : ليس ربما .. أنا محقة دائمًا ...

رحيل : حسنًا .. هل ينظر لي مثلما ينظر والدك لوالدتك ؟ ....

غفران : أتمنى ذلك ...

رحيل : ألم تريهم ؟

غفران : سأخبرك .. عمي الشرير عارف .. لا أحبه أبدًا ولكنه أخبرني أن أقول لكم أني ليس لديّ أم ولكن أنا لدي أم وأحبها كثيرًا ...

ـ كان أسهل مما توقعت ...

رحيل : أين أمك ؟

غفران : لا أعلم .. لم اراها أبدًا ...

ـ غفران .. نحتاج مساعدتك .. هل ستساعدينا ؟ ..

غفران : سأساعدك لأنك تحبها ومن يحب أحد لا يكون سيئًا أبدًا ...

رحيل : مازلتِ صغيرة ولا تعلمين أنّ من يحب هو أكثر من يؤذي ...

ـ ألا تعلمي ما اسمها أو شكلها أو مهنتها ؟

أشارت برأسها يمينًا ويسارًا فيما يعني أنها لا تعلم :

رحيل : ألم تسألي والدك قط ؟

غفران : بلى .. سألته مرة وأخبرني أنه لا يعلم .. ولكن سمعته مرة يتشاجر مع جدي الشرير وقال له بغضب لن تجعلها تجد غفران أبدًا ولا يجب أن تعلم بوجودها من الأساس لأنه إن علمت ستدمر كل شئ وسأفعل ما تريده ....

رحيل : حسنًا .. صغيرتي ...

نهض كلانا وهممنا بالرحيل وعند الباب توقفت رحيل وقالت بغضب وهيّ تنظر لي :

ـ كان ابننا سيكون في عمرها ...

****

(في القاع)

لم تكن الليلة في بدايتها ولكن القمر ظهر وهو ينير القاع المظلم بالكامل كأملٍ يأتي في ظلام النهاية الخاصة بطرق الحياة ...

ـ رحيل .. آلمني ظهري من تلك القفزة ...

ـ وأنا التوت قدماي ...

ـ لماذا أسير خلف قراراتك العجيبة ؟

ـ أكان جيدًا ان تم أكلنا ؟

ـ بالطبع لا .. ولكن لا نسقط في حفرة لا نستطيع الهروب منها إن تمت محاصرتنا ...

ـ تعلم أنني أتخذ قرارات عجيبة عندما أخاف ..

ـ لا تقفي وراء الخوف وتتخذيه كعُذر .. أنتِ تأخذي قرارات عجيبة في كل وقت ومكان ...

ـ ولكن أليس جيدًا ؟

ـ جيدًا ...!

ـ نحن عالقون في حفرة بالصحراء والقمر ينير القاع .. لنستلقي ونشاهد النجوم ...

ـ نشاهد النجوم ..!

ـ لا تضحك عليّ ..

ـ أيمكنك البكاء الآن ؟

ـ إذا فعلت شئ يبكيني ...

ـ هل أحزنك ؟

ـ أصبح شديدة السوء عندما يؤلمني أحد واعطيه أضعاف ذلك الألم .. فلا تدمر الليلة ...

ـ لا تقلقي .. لن أؤلمك لأني أعلمك عند الغضب .. تصبحين سيئة ومرعبة جدًا ..

ـ لن تحزنّي لأنك خائف أم لأنك لا تريد ..؟

ـ لا أريد بالطبع إحزانك فلا أحد او شئ يستحق أن تختفي تلك الحفرة التي بين وجنتيك وفمك لأجله ..

ـ هل سيكون القمر شاهدًا على القاع ؟

ـ دائمًا ما يكون القمر شاهدًا على كل شئ حتى وإن

لم نراه ...

ـ أخبرني قليلًا عن طفولتك ...

ـ ألم تخبرك نور ..؟

ـ أريد السماع منك ..

ـ كبرتُ وحيدًا مع والديّ حتى ماتت أمي في الرابعة عشر. ثم عمل والدي في خارج البلاد وتركني هنا فعشتُ وحيدًا وأنا أعمل حتى الخامسة والعشرين ثم وجدتني نور وأنتِ ..

ـ ثم ..؟

ـ علمت حقيقة أنّ نور شقيقتي وأنه تمّ خطفها بعد الولادة بشهور ثم ذهبت هيّ لملجأ ..

ـ كان عمرك أربع سنوات .. ألم تتذكرها أبدًا ؟

ـ تذكرتها كثيرًا ولكن والديّ أخبروني أنّ تلك الطفلة لم تكن شقيقتي وحينما واجهته لم يعطيني سبب واحد وإلى الآن لم أعلم سبب كذبهم عليّ ...

ـ لا تحب أسيل .. صحيح ؟

ـ يا إلهي .. لماذا يعتقد الجميع أننا في علاقة ؟

ـ ربما لأنكما لائقان ببعض كثيرًا ..

ـ على أي أساس تقولي أننا لائقان ؟

ـ شعرتُ بذلك .. من تحب ؟

ـ لا أحب أحد ..

- لا تكذب ..!

- لا أكذب .. أنا أسير معك في جميع القرارت المجنونة خاصتك .. صحيح ؟

- صحيح ..

- إذًا .. لنتخذ قرار الآن .. سننفذه إن لم نمت مأكولين ..

- حسنًا ..

- لنتزوج ..!

- أتمزح ..؟

- لا ..

- لماذا ..؟

- لأنني أحبك كثيرًا .. كثيرًا كما لم ولن أحب أحد من البشر .. أحبك حين إتخاذ تلك القرارات المجنونة .. وأحبك حينما تتمردي على الحياة .. وأحبك حين تعفي عن القدر على الرغم من كل المساوئ التي يقدمها .. أحبك حينما تهاتفيني في الثالثة ليلًا لتحدثيني عن فوائد الجرجير .. أحبك حينما تركضي للمغامرة وأنتِ تخشيها .. أحبك تتحولي للبؤة عندما تشعري أنّ أحدهم يحتاج حمايتك .. أحبك حينما تغاري وتتناثر من عينيكِ النيران .. أحبكِ حين تنفعلي لتدافعي عن الحق .. أحبك حينما ترغبي في إكتساب القوة كي تسحقي الظالمين .. أحبك حينما تعيشين اللحظة بسعادة والعالم يحترق .. أحبك حينما تبتسمي في جميع المواقف السيئة والجيدة .. أحبك حينما تستيقظي بحب وتفاؤل كي تجعلي للعالم مكانًا أفضل ..

حتى أني أعتقد أنّ الحب شئ صغير على ما أشعر به .. وقعت في الحب والقاع معكِ .. هلا نتزوج بأسرع وقت ..؟..

ـ لا أعلم ما عليّ قوله ..

ـ يمكنك قول " أنا أيضًا أحبك " أو " لنتزوج " ..

ـ أنا أيضًا أحبك .. كثيرًا .. كثيرًا ولكني لم أكن أعلم أنك تحبني ولذلك...

ـ تفاجأتِ لترقص الفراشات داخلك وكأن العالم انتهى ولا يوجد سوانا على الأرض وثالثنا القمر ..

ـ لنتزوج ..

ـ سنتزوج ..

ـ سأصبح زوجتك ..

ـ سأصبح زوجك ...

****

"تَشَقَّق فؤادي في زمنٍ أصبح العقّار به مُنقرض
وذلك من حُزن حظي"
شيماء رمضان

رحيل

دائمًا ما كان الصمت ملجأي من الحزن ولكن في داخلي أريد أن يكتشف أحدهم ذاك الألم الذي طاف بي من عنقي حتى قدميّ كي يُسارع في مساعدتي ولكنّ الأسوأ من الشعور هو انعدام فرصة البوح .. فسار بي الكتمان لمحطات كثيرة ودون دراية مني نسيت كيفية البوح ....

لو استمرت تلك اللحظات القديمة للأبد ولم يحدث كل ذلك السوء ولكن ها انا أدفع ثمن ذلك الحب الذي لم يستمر وجوده ...

لم تهدأ دقات قلبي منذُ رؤية غفران وكأنه يريد الخروج والذهاب لها ولكني أمنعه من التعلق بوهم كي لا يتألم أكثر .. فالأمومة شديدة البعد .. بعيدة على أن تكون حلمًا على الأقل ومَن تسبب بكل ذلك رقّ قلبي له اليوم .. اللعنة على الحب وما قد يليه من المشاعر .. عندما أشعر بحنين وجب عليّ تذكر فعلته الدنيئة وحينها سيزداد الكره داخلي فقط ....

خرجتُ للسيارة وبجانبي تميم والرغبة في التحدث باديةً بشدة على وجهه ولكن بدا الأمر وكأن جميع الكلمات التي العالم لم تكفي لخلق كذبة أخرى ، قاطع الصمت الذي استمر لساعات صوته :

- رحيل...

- إن لم نكن سنتحدث عن العمل فمن الأفضل أن نصمت ..

- هل تشربي قهوة ؟

ـ لن أشرب قهوة معك ..

قهوة ..! .. تعتقد أنّ كل الأمور ستصبح بخير عند شرب القهوة .. كان ذلك الحل في الماضي فقط عندما كنتُ تريد مصالحتي بعد الشجار فتشرب قهوة كهدية لي وعقاب لك لأنك لا تحبها .. ماذا الآن ؟ .. هل أحببتها ؟ .. هل استطعت تحمل مرارتها ؟ ..

ـ سنذهب للمنزل أم للمشفى ؟

ـ عيّن العميد شخصًا يراقبها وهيّ الآن في المشفى .

مرّت ساعة كاملة والصمت ثالثنا وبدأ برأسي بصداع خفيف واعتقدت أنه بسبب حلول الظهر ولم تنزل القهوة داخلي بعد وفكرت بطلب القهوة ولكن كرامتي رفضت وبالتالي تركت الصداع لداخلي وعلى كلٍ نحن في الطريق للمشفى وعندما أصل سآخذ أي شئ للعلاج الصداع ...

أوقف تميم السيارة فجأة ونزل عند إحدى المحطات وعندما سألته عن وجهته لم يجيب وتركني لدقائق ثم عاد وأعطاني شنطة من البلاستيك وكوب من القهوة ثم قال :

ـ أدويتك بالكامل والتي نسيتها في المكتب لا بدّ من تناولها حتى لا تشعري بصداع نصفي وكوب من القهوة لكِ .. لن أحضر لي لا تقلقي ...

ـ أتذكر الأدوية خاصتي ولا أحتاجك ..

ـ لماذا لم تتناوليها إذًا ؟

ـ تناولتها في المكتب ..

ـ لم تفعلي .. بدأ الصداع النصفي في رأسك .. إن اردتي الكذب فتعلميه أولًا ...

ـ لن أخذ الأدوية التي تحضرها ...

ـ لستُ مولعًا بصحتك ولكني لا أريد أن أتحمل مسئوليتك عندما تمرضي في منتصف الطريق ..

ـ مازلتُ لا تجيد تمثيل الوقاحة ....

ـ رحيل .. بعيدًا عن العِناد .. نحن نعمل الآن ويجب أن تأخذي تلك الأدوية الآن والقهوة لأنكِ مدمنة عليها وسيزداد مرضك دونها ...

ـ اهتمامك لن يغير أي شئ ...

ـ أعلم ولكني حقًا أهتم الآن بالقضية وليس بكِ ....

لا يكذب وبالفعل يهتم بالقضية الآن .. أعلمه حين الكذب يهرب عيناه وينظر لأسفل ثم يضم حاجبيه ويتحدث وكأنه يفهم الأمر جيدًا بحين أنه لا يفقه شيئًا في الحقيقة .. فليفعل ما سيفعله فأصغر تفاصيله لم تعد تهمني بعد الآن ...

فتحت الشنة البلاستيكية فوجدت الشوكلاه الحارة المفضلة لي بجانب الأدوية وقنينة الماء فحاولت إخفاء ابتسامتي لأنه لم ينسى بعد تلك السنوات ثم سرتُ حسب القاعدة وتذكرت ما فعله بي لتختفي الإبتسامة مجددًا من على وجهي ثم تناولت الأدوية ثم القهوة وانتظرتُ قليلًا ثم اعطيته الشوكولاه :

ـ أعتقد أنها ليست بفائدة للقضية ....

ـ تعملين بشكل أفضل عند تناول أي شئ حار ..

مازال يتذكر .. اللعنة سيسرق قلبي .. " لا تتركي نفسك وإياكِ والإستسلام .. تذكري ما فعله " :

ـ حسنًا .. لن آكلها ولكن أشكرك ..

ـ لا أفعل من أجلك .. بل من أجل القضية ....

ـ القضية تشكرك ...

ـ العفو ...

" إياكِ والميل .. لا يحبك .. فقط يحاول استمالتك ليبقيك ضمن قائمته .. تذكري ما فعله " .... :

ـ وصلنا .. استعدي ...

تنهدت قبل الخروج من السيارة ثم ترجلت وتركته وسرتُ عدة خطوات للباب الرئيسي ـ للمشفى وأتى خلفي ودخلنا سويًا وسألنا في الإستقبال عن الممرضة سارة وتم إخبارنا انها تعمل في قسم الجراحة فاتجه كلانا للمصعد وعندما وصل وخرج كلانا وتوجهنا بالسؤال لأحدهم فأشار بيده على فتاة تبعد عنا بحوالي سبعة أمتار .. طويلة بسيطة الملامح ولا يوجد شبه بينها وبين غفران ولمحتنا ثم ضمت حاجبيها وكأنها تحاول التذكر وفجأة قامت بفرد ملامحها وركضت فركضنا نحن أيضًا ...

جميع الطرقات في المشفى تشبه بعضها وأنا مازلتُ أركض خلفها بشدة وفارقني تميم منعطفًا ليوقفها من جهة أخرى وحاولت زيادة سرعتي واقتربت منها بشدة ولكني لم أستطع امساكها ولكني لمستها وذلك يكفي ثم توقفت عن الركض وتنهدت بشدة لتسارع دقات قلبي ثم عُدت لأبحث عن تميم ولم أجده فتسلل قلق صغير داخله ولكني طردته وحاولت محادثته في الهاتف ولم يجب أيضًا وبحثتُ في القسم بأكمله وفي جميع المناطق التي من الممكن أن يذهب إليها وعندما يئست ذهبتُ لمدير المشفى وأخبرته عن ضرورة مشاهدتي سجلات كاميرا المراقبة وبالفعل ذهبتُ لأراها فوجدتُ أنّ تميم ذهب لغرفة الأرشيف بعد ذهاب سارة له وبعدها بدقائق خرجت سارة وحدها .....

ركضتُ بسرعة وكأنّ سرعتي ستعيد كل ما مضى لأغير كل شئ .. وصلتُ وكان الباب مقفلًا فدفعته بكل ما أملك من قوة ولم يفتح فدفعته مرات متتالية بقوة حتى انكسر قفله ودخلتُ لأرى الأرض تحتضن عزيزي فركضتُ له ثم جثوت على ركبتي ووضعت ثلاثة أصابع على عنقه يمين الغدة الدرقية فأحسستُ بنبض قلبه فاطمئننتُ بتنهد ولكن لماذا يفقد الوعي ؟ .. لمحت حقنة فارغة واقعة على الأرض ثم اتى لي ممرض وأخبرني أنها حقنة مخدرة فقط لا غير وسيعود لوعيه بعد أقل من ساعة .. فزاد اطمئناني وساعدني الممرض على حمله لغرفة لأعلى ثم تناولت هاتفي لأتحدث مع العميد طارق واخبرته عن الفتاة واخبرني أنه سيرسل قوات للقبض عليها ثم تحدثت مع نور وأخبرتها بحضور أسيل في الصباح وغضبت مثلي ويكن أكثر وبعد مرور نصف ساعة تذكرتُ أنّ سارة عند خروجها لم تقفل باب الغرفة بل رحلت مسرعة ... مَن الذي أقفل باب الغرفة إذًا ؟ ولماذا أقفلها ؟ ...

ذهبتُ لغرفة المراقبة مرة أخرى لأرى بقية المشهد ووجدتُ ظابط الأمن هو من أقفل الغرفة بالمفتاح و بحثتُ عنه ببقية المشاهد فوجدت أنه أحضر سيارة أمام

المشفى وتركها فارغة ثم دخل وأقفل الغرفة وفي نفس الوقت الذي خرجت منه سارة لتركب السيارة التي أحضرها ثم خرج ظابط الأمن ذلك من المشفى و رحل ثم ذهبتُ لأرى ملفه فأخبرني مدير المستشفى :

ـ يُدعى وليد .. ظابط أمن في الأربعين يعمل هنا منذُ سنة يقوم بعمله على أكمل وجه ولم نجد ضده أي شكاوي ...

تحدثتُ مع كريم في القسم وأخبرته أن يقوم بالبحث عن ذاك وليد ويأتي لي بجميع المعلومات التي قد تخصه وأرسلتُ أيضًا رقم السيارة التي ركبتها سارة له كي يسهل البحث ، ذهبت لأرى تميم وعندما وجدتُ أنه لم يستيقظ بعد أخرجتُ الشكولاه الحارة خاصتي و بدأت في أكلها كي تساعدني على التفكير بالصلة التي قد تربط بين ظابط الأمن و سارة والأشقر وعملية الأمس التي مازلنا نجهل المرحلة الثالثة بها :

ـ مازلتِ تتلذين بالحار ...

ـ استيقظتُ ...

ـ ماذا حدث ؟ سارة ؟ ..

ـ جاري القبض عليها بسبب وحدة مصغرة من جهاز Gps ألصقته بملابسها ... بل أنت ماذا حدث معك ؟

ـ دخلت غرفة الأرشيف ثم تبعتها وكانت تبحث عن شئ و عندما اقتربت منها قالت بثقة لا يجب أن تجدوها ثم وكانت تحمل ملفًا بيدها وتمسكه بشدة ألقته

أرضًا عن عمد وركضت لجهة أخرى ومسكت أنا ذلك الملف وعندما كدتُ أرى ما بداخله أتت من خلفي وأعتقد أنها أعطتني حقنة مخدرة ثم سواد ...

ـ ما لون ذلك الملف ؟

ـ أحمر ويوجد عليه بخط عريض 2014 ..

ـ هل رأيتيه في غرفة الأرشيف ؟ ..

أخبرته كل ما علمته عن ظابط الأمن و سارة وأثناء محادثتي معه رنّ هاتفي برقم كريم ففتحتُ مكبر الصوت :

ـ تم القبض على سارة ولكن لا يوجد معها أي ملفات وهيّ الآن في قسم التحقيق وتم إرسال جزء من الأمن لتفتيش بيتها ...

أغلقتُ الهاتف ثم نظرتُ لتميم :

ـ هل أنتَ بخير ؟

ـ لماذا ؟

ـ وجهك شاحب ...

ابتسم ثم قال بسخرية :

ـ أنا من سأقود السيارة .. هيّا ...

ـ سألت من أجل القضية ...

ـ أعلم ...

ذهبنا للسيارة وشعرتُ بداخلي أنه بخير وبعد مرور نفس المدة التي ذهبنا للمشفى بها وصلنا للقسم ، واول ما فعلناه هو الذهاب للعميد وقابلناه وبلهفة :

طارق : أستخبرني كيف هربت منك فتاة بذلك الحجم ؟

لم أفهم سبب غضبه على الرغم من أنه كان بسيطًا إلا أنه لم يعطيني طمأنينة أبدًا :

ـ ماذا حدث ؟

طارق : اختفى الملف الذي اخبرتيني عنه ...

ـ ربما لم يكن بتلك الأهمية التي تعطيها له ...

طارق : لكل تفصيلة أهمية في تلك القضية ..

تميم : حسنًا أعتذر ... هل سنتابع القضية الآن ؟ ..

طارق : لا يوجد أي صلة تربط بين عزيز وسارة وتم أخذ عينة منها أيضًا لتحليل DNA ..

ـ التحليل لا يفيد بشئ الآن فنتيجته ستظهر بعد أسبوعين .. صحيح ؟ ..

طارق : للأسف ... سيتم استجواب سارة أولًا ويليها عزيز .. تلك بعض الملفات ستساعد في التحقيق ..

ـ انا من سأقوم بالإستجواب ..

توجهت أنا لغرفة التحقيق وطارق وتميم لغرفة المراقبة وحينما دخلت لها كانت تجلس بهدوء ناظرة بفراغ إلى الحائط ثم حركت عيناها لتنظر اتجاهي بتوتر بسيط بدا من خلال حركات يدها ثم سحبتُ الكرسي لأجلس قبالتها :

ـ لماذا ركضتِ وبتلك السرعة أيضًا ؟

ـ أنا لم أفعل شئ ..

ـ نحن لم نقل أنكِ فعلتِ شئ ...

ـ لماذا أنا هنا إذًا ؟

ـ لنفس السبب الذي هربتِ لأجله ...

ـ لم أهرب لأجل أي شئ .. فقط لأني أخاف من الأمن والشرطة ...

ـ كيف علمتِ ماهيتنا ؟

ـ لا أعلم شئ ...

ـ لكِ عائلة في صعيد مصر .. والدتك وشقيقتان تدرسان وتم إرسالك هنا للعمل وإعالتهم ..

ـ أذلك تهديد ؟ ..

ـ بالطبع لا ولكن إن تم إكتشاف وجود علاقة بينك وبين أي شئ خاطئ .. لا أحد سيعيل عائلتك عند دخول السجن ...

كانت حركاتها جسدها غريبة ولم أستطع فهمها وكأنها تريد توضيح شئ ولكن هناك ما يمنعها ، أخرجت صورة عزيز من الملف ووضعتها أمامها :

ـ هل تعلمي من هو ؟

هرّبت عيناها ثم فردت ملامحها بخوف بارعت في إخفاؤه وتنهدت مرتين بسرعة عن الطبيعي ثم عادت تنظر لي وبثقة :

ـ لا أعلم من هو ...

ابتسمت انا بسخرية ثم اقتربت منها :

ـ سارة .. لا تكذبي عليّ .. هل تعلمي من هو ؟ ..

ـ أخبرتك أني لا أعلم ...

ـ من التي لا يجب أن نجدها ؟ ..

ـ لم أفهم ...

ـ قمتِ بحقن أحدهم في غرفة الأرشيف وأخبرتيه بتوتر لا يجب أن تجدوها .. من هيّ ؟ ..

ـ ذلك المعتوه ..

ـ معتوه ...!

ـ حينما هربت لغرفة الأرشيف لأخذ الملف ظننتُ أنه سيمسكني ولكنه أخرج حقنة وأعطاها لنفسه ثم فقد الوعي وهربت أنا ...

لا .. لم يحدث ذلك .. فقط تحاول تمويهي وزرع الشك داخلي إتجاه تميم :

ـ حسنًا .. انه معتوه .. لماذا أخذتِ ذلك الملف أثناء هروبك ..؟

ـ كنت أحتاجه ولأني هربت ولن أعود للمشفى مرة أخرى أخذته ...

ـ أين هو الآن ؟

ـ ضاع مني ....

ـ سارة .. أنتِ هنا في حمايتنا وإن كنتِ خائفة من التحدث لأجل أي شئ فلا تفعلي ... سنحميكِ أنتِ وعائلتك .. ساعدينا كي نستطيع مساعدتك ...

ـ لا أعلم أي شئ ..

يجب عليّ أن أتخذ طريق آخر ولذلك عُدت أشير على صورة عزيز وزدتُ قليلًا من علو صوتي :

ـ من هو ؟

ـ لا أعلم

ـ لن يساعدك الإنكار .. من هو ؟

ـ لا أعلم

ـ سارة .. صدقي لا أريد استخدام عنف .. من هو ؟

ـ لا أعلم ..

ـ من عزيز ؟

ـ أخبرتك أني لا أعلمه ...

أغمضت عيناها لتدرك انها اعترفت بمعرفته دون دراية منها :

ـ لا مفر لكِ من الإعتراف اليوم ولا أحد سينقذك سواكِ .. لا تضيعي الوقت ...

ـ عزيز يحب صديقتي وكان يطمئن عليها عن طريقي فقط ..

ـ ولماذا تخفي ذلك الأمر ..؟

ـ لأني لا أريدها أن تعلم ..

ـ للأسف سنضطر لإعلامها ...

اخذت منها كل المعلومات عن صديقتها ثم أخرجت صورة عارف وسألتها عنه :

ـ عارف .. أخ عزيز .. و والدهم الأشقر إن كنتِ ستسألين ...

ـ هل تعلمي مهنتهم ؟

ـ لا ولكني أعلم انهم يعملون بشئ خطير ولذلك تركت صديقتي عزيز ...

ـ عزيز يتصل بكِ ليطمئن على صديقتك ..

ـ نعم ..

ـ هل تلك الخدمة البسيطة تستحق أن يحول لكِ عزيز مبالغ ضخمة كل شهر ؟

ـ تلك تبرعات للمشفى ...

ـ ولماذا يتبرع بها عن طريقك ؟

ـ لا يريد الإفصاح عن هويته ....

أخرجت صورة غفران و وضعتها أمامها وأجابتني بثقة :

ـ ابنة عزيز و صديقتي مريم ...

ـ ولماذا لم ترى الطفلة امها ؟

ـ يمكنك سؤالها عن ذلك الأمر ...

ـ أشكرك على المساعدة .. يمكنك الرحيل ولكن تم توقيفك عن السفر مؤقتًا .. وعلى كلٍ لا يوجد اتهام ضدك .. تم القبض عليكِ فقط لأنكِ هربتِ ....

خرجت من الغرفة وقابلتُ العميد وتميم بالخارج فتوجهتُ بالحديث للعميد :

ـ من كان يراقبها .. أخبره أن يستمر ...

تميم : لماذا كذبت بخصوص ما حدث في غرفة الأرشيف ؟

طارق : ولماذا نظن أنها تكذب ؟

لم أفهم التغير المفاجئ للعميد من الثقة للشك :

ـ تكذب .. علامة الحقنة في ظهر تميم ولا يمكن أن يعطيها لنفسه ...

تميم : ماذا سنفعل الآن ..؟

ـ سننظر للملفات ونحاول جمع الأمور ثم سنذهب لمريم ....

طارق : لن تذهبوا اولًا لمريم ..!

ـ أحتاج لإستجماع أفكاري أولًا ...

ذهب كلًا منا إلى مكان مختلف ثم تناولت هاتفي وأرسلت رسالة لتميم ليأتيني المكتب ويحضر القهوة لنشربها سويًا ثم تحادثت مع مالِك ونور لعدة دقائق وأخرجت جميع الملفات و وضعتها في السيارة وعُدت ثم أتى تميم بدون القهوة وبقلق :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ بالطبع .. لما لا أكون ؟ .. أين القهوة ؟

ـ سنشرب قهوة سويًا ..!

ـ نعم .. لعلها تكون بداية لفرصة ثانية ....

****

" لا تتركي يدي لأنّ السقوط من ذلك الإرتفاع
سيكون مميتًا "

تميم

حين رؤيتها يبدأ داخلي بالتبعثر بروية لأعلم أنّ ذلك الحزن والألم الذي أشعره ثمن اللحظات السعيدة التي قضيتها معها وعلى الرغم من عدم علمي أنّ ثمن الحب معها سيكون باهظ بتلك الدرجة إلا أنني مقابل ابتسامتها التي تذيب داخلي مستعد أن أدفع أضعاف ذلك الألم وبكل نفس راضية رحيلي ..

" لعلها تكون بداية لفرصة ثانية " قالتها وهيّ تبتسم لي كالماضي وهنا سرقتني الدهشة وارتفعت بي السعادة للسماء و رعشة يدي ما كانت سوى دليل على ارتجاف قلبي بقوة حتى شعرتُ أنه كاد يتوقف بجملة واحدة منها ، همس لي المنطق بتفسيرين لذلك الموقف .. إما أني أحلم أو أنّ روحي ماتت وفي طريقها إلى الله .. لكن لا يهم المنطق أو الحقيقة .. تكفيني اللحظة وإن كانت خيالًا ...

قطعت نظرتي إليها ثم نظرتُ إلى الأرض وتنفستُ بصعوبة ولكني لم اظهر وكدتُ أموت من النقص المفاجئ للأُكسجين في الهواء ولكنها أنقذتني :

ـ تميم ... هل أنتَ بخير ؟ ..

أشرتُ لها برأسي إيجابًا في حين أني لم أمتُ للخير بصلة ثم نظرت لي :

ـ تميم .. أعتذر لأني لم أفهم ندمك ورغبتك في فرصة ثانية تثبت فيها أنك تستحق ذلك الحب .. من يحب يسامح ولذلك أنا أسامحك لأني مازلتُ أحبك .. أخذتُ وقتًا طويلًا لأفهم أني لم أتوقف يومًا عن حبك .. إليكَ فرصة أخرى وأثق أنك تستحقها ....

أعلم أني أحلم ولكن سأعيش ذلك الحلم حتى آخر لحظة فيه وأتمنى أن لا أستيقظ أبدًا :

ـ هل نذهب تميم ؟

ـ لنذهب ..

ـ ألن تسأل لأين ؟

ـ لا يهم لأنك وجهتي الأولى والأخيرة والوحيدة ...

نهضت من كرسيها وجاءت لي بابتسامة وأمسكت يدي وخرجت وهيّ تسحبني ولم أشعر بشئ أبدًا سوى دقات قلبي المرتفعة التي تعلن عن سعادته وصلت بي إلى السيارة وكانت هيّ تقود حتى مرّ الوقت ولم أنتبه له ولم أفعل شئ سوى التنفس والنظر لها وبدا الأمر وكأنّ العالم يختفى بأكمله ولم يتبقى سوى كلانا ثم أوقفت السيارة وترجلت منها وتبعتها وحملتني قدمي ولكن شعرت وكأني أطير في الأعالي دون أجنحة ثم نظرت وإذ أننا الآن أمام منزلنا الذي آخر يوم قضيناه داخله كان تلك الليلة ثم كانت رحيل تسير اتجاهه وانا واقفُ مكاني متجمد لا أستطيع الحراك وتوقفت ثم نظرت لي :

ـ لماذا لا تأتي ؟

ـ هل سندخل ؟

ـ نعم .. ألم أسامحك ؟

لم أتحرك ثم جاءت ومسكت يدي مرة أخرى وسحبتني خلفها حتى وصلنا إلى باب المنزل ثم فُتِح الباب وحده ووجدت خلفه نور ثم دخلنا وأثناء نظري في أرجاء المنزل تم إرسال رسالة نصية لهاتفي ولم أنتبه حتى أتت لي نور وأخرجت الهاتف من سترتي وأعطته لي بغضب دون كلام وحينما رأيت الرسالة كانت من رحيل " يوجد جهاز تنصت في ثيابنا ولذلك قُم بتغيير ملابسك واتركها هنا ثم سنرحل ولا تتحدث معي بصوتك عن الأمر " ..

لم أفهم أو بالأحرى لم أُريد أن أفهم ولكني فعلت ما قالته لي ، دخلت لغرفة و غيّرت ثيابي بالكامل وحينما خرجت كانت رحيل جاهزة وبجانبها نور ثم أشارت لي لنخرج وحينما فعلنا ذهبت نور لتُجري مكالمة وكانت رحيل أمامي وأنا أنظر لها وأحتاج أن أفهم ولكني لا أريد فلاحظت نظراتي لها :

- لماذا تنظر لي بتلك الطريقة ؟

- كيف أنظر لكِ ؟

- وكأنك تُصدق ...

- ألا يجب عليّ ؟

نظرت لي بتعجب ثم نظرت حولها لتهرّب عيناها :

- لم أسامحك ولا أحبك ولم أعطيك فرصة أخرى .. كان مجرد كلام لا أكثر .. لم يكن حقيقي أو من داخلي .. أشكُ في العميد طارق بسبب تغيراته ولغة جسده وتأكدتُ أنه يعلم بسابق معرفتنا ولذلك سنعمل من خلفه .. سأخبرك بالتفاصيل في السيارة .. كان يجب عليك أن تفهم ولكن لا أعلم ماذا دهاك ؟ ...

أخبرتك أنّ السقوط من ذلك الإرتفاع سيكون مميتًا ولكنك تركتي يدي وها أنا أسقط دون دراية أو وعي مني لأرتطم بالأرض بقسوة وشدة لم تسبق لي .. لم أكن بخير أبدًا ولم يلاحظ أحد .. جعلكِ البعد بتلك القسوة لدرجة لم تعطي اعتبار لألمي .. انا اتألم وملّت عيناي من اخبارك بذلك .. لا تعلمي ما الذي دهاني ؟ .. دهاني الحب الذي يكاد ينهيه الألم داخلي إن لم تنقذيه ، أخبرتها الكثير بعيناي خلال ثوانٍ ثم تنهدت وأخبرتها بكل ثقة وثبات على عكس ما يمر به داخلي :

ـ كيف سنعمل من خلف العميد ؟

ـ هل أنتَ بخير ؟

لا .. لستُ فأنتِ فعلتي بي ما هو أسوأ من الخيانة .. لا تعلمي شئ عن الحرب بداخلي وعن مدى رغبتي في البكاء بسبب الجروح التي خلفها السقوط .. ولكني استحق الرحمة فلستُ سيئًا لتلك الدرجة .. أخطأتُ ولكني تألمتُ لي ولكِ .. لم يكفي وأخذتِ إنتقامك مني عن طريق الخذلان .. حبي لكِ جعل مني أحمقًا كبيرًا .. لستُ بخير رحيلي وأرغب في التوقف عن التظاهر بعكس ذلك .. :

ـ نعم بخير .. لمَا لا أكون ؟ ...

ـ حسنًا .. سالم ونور أحضروا مريم والدة غفران منذُ ساعة لمنزل مالِك فهو المكان الوحيد الذي لن يفكر العميد في الذهاب إليه ..

ـ لماذا نشكُ في العميد ..؟

ـ هل تشكُ به أيضًا ؟

ـ لا ...

ـ لماذا تكلمت بصيغة الجمع .. نحن ؟

لأنّ هناك شئ في أعماقي مازال يؤمن بأننا روح واحدة ولكن لا تقلقي سأقتله فعلى كلٍ أصبح ذلك الحب من طرف واحد فقط وقد ظننتُ أنّ حبي وحده يكفي لكلينا ولكني أخطأت :

ـ لأننا نعمل سويًا ...

كانت عيناها تسألني بقلق : فقط ؟ ولكن لسانها صامتًا فلم أجبها بأي طريقة لأنني مازلتُ لا أعلم تلك الإجابة :

ـ نشك الآن بالعميد بسبب تأخر حل القضية على غير العادة كما أني من البداية أشكُ بوجود جاسوس في القسم ولكني لم أحدد ماهيته وأوصل كريم لي معلومات بإمكانية انقاذ جميع الأطفال في مكان التسليم ولكنه تعمد انقاذ النصف فقط والجدير بالذكر أنّ اوراق المرحلة الثالثة من العملية لم يحرقها عارف مثلما أخبرنا العميد بل أحرقها هو بنفسه أمس عند طريق صحراوي والتقطته كاميرات مراقبة خاصة بمحطة حافلات لم ينتبه لها .. عندما اقتربنا بشدة وخاصةً من سارة أخبرني كريم أنه غضب في القسم بطريقة غير متوقعة ولكنه اطمأن عندما علم أنها كادت تهرب وعندما اخبرته بموقعها لم يملك حل سوى احضارها ولأنه يعلم بوجود جهاز تنصت في الجهاز الذي ألصقته بملابسها لم يتحدث معها أو يقابلها ولكن حارس الأمن وليد وضع ورقة بها كل شئ في السيارة التي أخذتها سارة .. لم يكن هدفهم جعل سارة تهرب بل قدومها وتوصيل لنا المعلومات التي يريدوها ....

ـ تلك المعلومات خاطئة إذًا ..

ـ ربما ولكني لا أعتقد لأنهم دائمًا ما يظهروا جزء من الحقيقة حتى لا أشكُ بحدوث خلل في التحقيق ..

ـ كيف علمتِ بأمر الورقة التي في السيارة ..؟

ـ حقق مالِك مع الحارس وليد واعترف بكل شئ ..

ـ مالِك ! .. هل بإمكاني الوثوق به ؟

ـ لا تقلق .. أنا لا أكرر أخطائي مرتين ....

تثقب كلماتها روحي بقوة لتنزف ألم داخلي مميت ولكن ظاهري ثابت وكأني جليد ومشاعري متجمدة ولكن أليست عيناي كافية لإخبارها عن الندوب التي تتركها كلماتها ؟ ، قاطعت كلامنا نور :

نور : هل سنرحل أم ..؟

رحيل : سنرحل بالطبع ...

سارت رحيل لتذهب للمقود ولكني أوقفتها لأقود أنا السيارة فاعترضت :

رحيل : أنتَ لا تعلم الطريق لمنزل مالِك ...

ابتسمت ساخرًا :

ـ بالطبع .. أنتِ تعلميه جيدًا ..

تراجعت بخطواتي لأجلس بجانبها ونور في الخلف بأخذ بعين الإعتبار امكانية حدوث اشتباك فلذلك فقط جلستُ بجانب رحيل أوهذا ما ظننته ، سارت بنا رحيل وكانت بارعة في السير وكأنها تحفظ الطريق من منزلنا إلى منزله وبعد مرور القليل من الوقت بدأت لغة العيون بين رحيل ونور التي أعلمها جيدًا ولكني تظاهرت بعدم الملاحظة حتى طالت محادثتهم وقالت نور شئ لرحيل بعينها ولم تفهمه رحيل وظلت دقائق تحاول أن تفهم حتى كادت أن تسهو عن القيادة فأخبرتها أنا :

ـ تقول لا تقلقي سيكون على ما يُرام ...

رحيل : كيف تقول ؟

نور : لم أقل شئ ..

ابتسمت لكلاهما وعُدت أنظرُ في الطرقات وكأنّ النظر لها ستُعيد لي كل ما تدمر مني وبقى تحت أنقاض الحب .. حمدًا لله أنكِ بخير رحيلي ولا تشكي من الوحدة فبجانبك سالم و ذاك اللزج المدعو مالِك والأهم منهما بجانبك نور التي أثق أنها لم تتركك لحظة واحدة ولكن أعتذر أنّ جزء مني يحترق من سعادتك لأني مازلتُ هناك في تلك الليلة ولم أتقدم أو يساعدني أحد ولم أحب بعدك وأثق أني لن أفعل فلتخبريني عن الطريقة التي استطعتِ الإبتسام بها لأني أموت في بئر ذنوبي .. تألمت لكلانا وأعتقد أني أستحق المغفرة على الأقل ...

مرّت ساعتين حتى وصلنا وطرقت نور الباب حتى فتح لنا سالم ودخلت فكان منزل مالِك بسيطًا جدًا ولكنه رائع لأنّ إمرأة الياسمين خاصتي لمسته وتأكدت حين رؤيتي للون الأبيض في كل مكان أنّ رحيل من اختارت ديكور المنزل واندلعت

حرارة داخلي حينما استنشقتُ رائحة الياسمين و زادت تلك الحرارة حينما خرج مالِك من أحد الغرف بيده قهوة في كوب مميز وهو يتجه لرحيل ويقول لها :

مالِك : عزيزتي قهوتك .. أعلم أنكِ لن تنتظري أحد

انتشرت الحرارة بجسدي بأكمله وارتكزت على صدري حتى توقف نَفسي. وتخيلت أني أذهب له وأطرحه أرضًا وأسدد على وجهه عدة لكمات حتى أفقده وجهه الذي لا يمتُ للوسامة بصلة ولكن ما أوقفني هو أخذ رحيل القهوة من يديه بإبتسامة وشكر .. لو يسمح لي القدر فقط بقتله ففي النهاية أنا أدافع عن ممتلكات قلبي والتي لا يجب أن ينظر لها أحد بتلك النظرة ، حاولت التحكم بجسدي وملامحي ولكني عجزت ....!

للمرة الأولى أعجز عن إخفاء ما بداخلي والتظاهر بعكسه لربما كان الشعور أقوى مما يبدو عليه فلا أحد له الصلاحية ليحب رحيلي غيري .. إن لم يكف ذاك اللزج عن حبها أقسم أني سأفقد السيطرة وأضطر لقتله الآن واليوم ولكن ما يكبحني هو أن تنعدم فرصة السماح الخاصة برحيلي ، أثناء شرب رحيل القهوة لاحظتُ تغير بسيط بملامحها ولكن كالعادة بارعت في إخفاؤه فاقتربت منها ولم أستطع التحكم بنفسي وخطفت كوب القهوة وتذوقته ثم اتجهت بنظري لمالِك قائلًا بثقة وابتسامة صفراء :

- رحيل تشرب قهوتها سادة بدون سكر ..

وقف الجميع ينظر لي بدهشة وابتسمت ملامح نور ببساطة ولكسر ذلك التوتر أردفت :

- أين مريم ؟

سالم : بالأعلى ...

رحيل : سأصعد لها أنا وتميم ...

مالِك : رحيل .. هلا أكملتي قهوتك لأنه لا يعلم أنكِ أصبحتي تحبي السكر ؟

أخذت رحيل كوب القهوة وصعدت وأنا ضحكت له ثم خلفتها :

ـ لن تشربي تلك القهوة ..

ـ لا تملي عليّ ما سأفعله ...

ـ لا أفعل ولكني أعلم أنّ معدل السكر سيرتفع إن تناولتي تلك القهوة ولا أريد أن أعوق القضية ...

أخذتُ من يدها الكوب وألقيته في القمامة ودخلتُ لأرى مريم ورحيل خلفي تقف بدهشة وشعرتُ أنها ابتسمت ثم خلفتني وعندما دخلت كانت مريم واقفة تنظر إتجاه الشرفة والتفتت برفق عندما رأتنا وكانت ملامحها جميلة ولكن تبدو وكأنها مرهقة والأمر الذي أثار داخلي مئات الأسئلة هو أنّ وجهها مألوف لي بطريقة لا تُوصف وكأنّ لها ذكرى في ركن من أركان عقلي ولكن لا أتذكره وهيّ بدورها عندما رأتني تغيرت ملامحها وكأنها تعرفني حتى انتبهت رحيل لذلك التوتر وحاولت قطعه :

رحيل : هل يوجد سابق معرفة بينكما ؟

مريم : نعم .. تقابلنا منذُ خمس سنوات في فندق ...

تعالى مستوى التوتر في الجو وكاد أن يتوقف قلبي ولكن رحيل سارعت بسؤالها بتوتر وهدوء :

رحيل : متى بالظبط ..؟

مريم : 13 أكتوبر عام 2014 ....

****

" كل شيء يتلاشى بمرور الوقت سوى حبك فإنه
يحتجزني كأسيرة وراء قضبان من العشق .. "

حنان خالد

رحيل

تقف أمامي بجسدك ولكن روحك في أبعد مكان قد تكون فيه فعلي الرغم من القرب إلا أننا لا نلتقي ، تفصل بيننا مسافات غير مرئية تحوي سنوات وليالي وحزن وعفو ، يراود روحي شعور ناحيتك لا يُطمّئِن أبدًا وكأني جعلتك في موضع المظلوم وإذ أنّك أكبر الظالمين ولكن لا أفهم ما يعتري قلبي نحوك وما يُثير ضَحكي هو أني لم أصدق يومًا أنك ذهبت لأخرى وخاصةً أسيل وما لا تعلمه أنّ ما تطلب عفوي لأجله ليس الخيانة بل الرحيل .. أنتَ مَن رحلت مِن بعد تلك الليلة وتركتني أغرق في آلام ستستمر لمدى العمر ولم نحارب سويًا مثلما أطلقت لي وعودًا بذلك ..

لم أرغب أبدًا في إيذاءك عن طريق الخذلان ولكن من شدة رغبتك في التصديق .. صدقت ...

شعرتك حزين وتائه و وحيد وأتت تصرفات مالِك السخيفة لتُزيدك ألمًا وغضبًا ولكنك مازلتُ لا تستحق الحب أو الغفران وليشهد القدر عليّ أني لن أحبك مرة اخرى ...

لم يستطع تميم إخفاء التوتر فكان باديًا عليه بشدة ولم أرغب بسماع اي شئ عن تلك الليلة وما حدث بها ولذلك قلتُ لهما بتوتر محاولةً إنقاذ نفسي :

ـ أعتقد انكما بحاجة التحدث وأنا بالخارج إن إنتهيتم من الحديث عن تلك الليلة ...

خرجتُ دون إلتفات وأنا أحاول إلتقاط أنفاسي بصعوبة بالغة لأنني تذكرتُ ما حدث ....

(الحادية عشر مساءً)

13 أكتوبر , القاهرة عام 2014

أعطى القدر الحب لكليهما ليكون مسكنًا يساهم في جعل الآلام تسكن بهدوء ولكنه لم يشفيها لأنه لم يكن علاجًا ...

كانت تجلس بقلق تارةً وتسير في أرجاء المنزل تارةً وعيناها لا إراديًا تتفقد الهاتف كل دقيقة بيدها على الرغم أنه ستسمعه إن هاتفها ولكنّ القلق هنا لم يعرف منطق وقد مرّت عدة ساعات بتلك الحالة ولا جديد لها فقد خرج من المنزل صباحًا بعد مشاجرة عنيفة بينهما بسبب شئ تافه لا يُذكر ولم يعد أو يترك أثرًا يدل على مكانه فقط ذهب وترك عدة تساؤلات لا تفيد بشئ. وأخيرًا استجاب القدر لنداءها بإنهاء ذلك الإنتظار وأتى على مسمعها صوت الباب فركضت لتفتحه بحماس معتقدة بكل سذاجتها أنه سيأتي لها معتذرًا بزهور الياسمين وبعض الحلوى ولكن خاب ظنها عندما رأته فكان يقف بميل مستندًا على الباب ذي عينين مدمعتين :

- تميم .. هل أنتَ بخير ؟ .. ما حالتك تلك ؟ .. هل شربت ..؟.. أين كنت ؟ ...

لم يجيب عليها فقط ساعدته على الدخول والجلوس وذهبت لتحضر له قهوة كي يستفيق ثم عادت وجلست بجانبه :

- ماذا حدث لكَ تميمي ؟.. حسنًا تشاجرنا ولكن لم ينبغي عليكَ الرحيل .. سيعود كل شئ ..

ـ لا .. لـن يعـود أي شئ .. مـرّ شـهران ونحـن نقـول ذلـك .. علاقتنـا لا تعـود مثـل السابق ..

ـ ستعود .. أعدك .. الحياة ليست ملونة دائمًا فكل ما هو سئ يختبر قوة علاقتنا و...

ـ وقد فشلنا في ذلك الإختبار ..

ـ لا تقول ذلك .. لم ينتهي ذلك الإختبار بعد كي تظهر نتيجته .. سنُرزق بطفل .. سنكون عائلة بسيطة جميلة .. لا تقلق .. أنتَ فقط متوتر وتحت ضغط بسبب اضطراب العمل ...

ـ لا أستحقك ...

ـ عزيزي كفّ عن البكاء ولا تقول مثل ذلك الكلام .. لم يكن أكثر من شجارٍ عادي وسنتناقش بخصوصه وسنظل معًا دائمًا مثلما وعدنا بعض ..

ـ هل ستغفري لي ؟

ـ انتَ لم تخطئ كي أغفر لكَ ..

ـ بلى ..

ـ أين كنت ؟

ـ هل ستسامحيني ؟

ـ ماذا تقصد ؟

تناثر التوتر في الجو سريعًا ورحيل تتابع اسألتها وتميم لا يفعل شئ سوى البكاء بصمت وهدوء :

- تميم .. أخبرني الآن ماذا فعلت ؟

- لقد كنتُ مع أسيل ..

- أسيل ..!

- أعتذر .. حقًا .. لم أعني ذلك ف...

- تميم .. أخبرني أنك تكذب .. وأن تلك ليست حقيقة

- أعتذر...

- في أول شجار لنا .. رحلت لأسيل .. لم تكن سوى نوبة غضب يطوقها الكبرياء ...

- أعتذر بشدة .. حقًا آسف ..

****

أنتَ مَن خُنت و أنتَ مَن رحلت و أنتَ مَن ندمت و أنتَ مَن تطلب العفو لكني مَن اتألم فوالله لو كنتَ تعلم حجم الخيبة التي أكنّها في أعماقي لكَ لأشتعل جوفك حقدًا على نفسك ، يكفيك التلوي من الندم ولكن أين العدل ؟ حينما جرحتني تألمت وحينما جُرحت أنتَ تألمت أيضًا .....

أتى صوت نور من خلفي بحنو :

ـ رحيل .. هل أنتِ بخير ؟

ـ لستُ بخير .. لا أقوى على تذكر تلك الليلة ..

دون أن تتحدث عانقتني برفق لتتحدث المشاعر نيابةً عن الكلمات التي لا تعبر عن أي شئ ليتخلل داخلي إطمئنان يليه تنجرف مشاعر القلق والخوف فيعود لي وعيي :

ـ ما الذي حدث ؟

ـ يوجد بين تميم ومريم سابق معرفة في تلك الليلة ..

ـ أتمزحين ..؟

ـ يا ليتني كنتُ ...

خرج تميم من الغرفة وأشار لي بيده لأدخل فتحركتُ وأنا أتجاهل ألمي ورغبتي في البكاء كأنها لم تكن وحينما دخلت ألقيتُ نظرة على تميم فكان شاحبًا ولكن توتره خفّ قليلًا ثم تنهدت محاولةً إلقاء التوتر والألم خارجي وبدأت في التحقيق :

ـ مريم .. نحتاج مساعدتك .. هل ستساعدينا ؟ ..

مريم : بالطبع ..

ـ متى قابلتِ عزيز ..؟

مريم : منذُ ست سنوات في مطار القاهرة ..

تميم : مطار القاهرة ..!

مريم : كنتُ عائدة من كندا وقابلته بالصدفة في المطار ...

ـ لماذا سافرتِ لكندا ..؟

مريم : الدراسة ..

تميم : هل يمكنك قص حكايتك مع عزيز بإيجاز ..؟

مريم : قابلته بالمطار ثم أصبحنا أصدقاء وبدأنا بالخروج ثم وقعنا في الحب...

ـ هل تزوجتما ..؟

مريم : لا ...

تميم : إبنتك ..؟

مريم : كانت مجرد " غلطة " لا أكثر ...

شعرتُ بقشعريرة عند سماع ذلك " غلطة " ماذا تعني ؟ أتلك الملاك الصغير التي تنتظرك لقائك على نار مجرد " غلطة " ؟ .. في حين أني أموت لهفًا على ابني الذي تُوفي في عمر إبنتك تعتبري أنتِ ابنتك كذلك .. لعنك الله في الدنيا والآخره فالجنة لن تكون تحت أقدامك بل لن تقترب منك على الأقل ...:

تميم : لم تريدي رؤيتها أبدًا ؟

مريم : لا ..

ـ تابعي ..

مريم : كنتُ على وشك الولادة عندما علمت أنه يعمل لحساب خطير أو إجرامي .. شيئًا من هذا القبيل .. وقد أخبرني أنه يعمل في التجارة وحينما واجهته اعترف بكذبته فهجرته .. وعندما ولدت الطفلة أخذها وأنا تابعت حياتي ..

ـ كيف ؟

مريم : لم أفهم ..

ـ كيف تابعتِ حياتك ؟

مريم : لكل منا معتقدات ومبادئ يسير عليها ..

ـ معتقدات..!

تميم : رحيل ..

نظر لي بعينيه لأن اهدأ كي نستطيع الإستمرار :

تميم : لماذا كانت علاقتكما بالسر ؟

مريم : لأسباب كثيرة أهمها أننا لم نرد لعائلاتنا أن يعلموا كما أنّ علاقات الحب دون الزواج مكروهه في المجتمع المصري ...

ـ لأنها خاطئة..

نظر لي تميم وقال بهمس لا يسمعه غيري :

ـ تحكمي بأعصابك ولا تتحدثي أبدًا ...

حاولت كبح غضبي بالتنفس ثم تابع تميم لمريم :

تميم : ألم يخبرك عزيز أي شئ بخصوص عمله ؟

مريم : أخبرني أثناء فراقنا أنه لا يعمل معهم ولكن أباه يجبره ولا أعلم أي شئ عن ماهية عمله ولكني بالتأكيد لن أحب مجرم ..

رفعت حاجبيّ بإندهاش قائلة في داخلي لن تحبي مجرم ولكن ستتركي ابنتك حديثة الولادة لذلك المجرم كم أنتِ دنيئة أنتِ ومبادئك ؟ ...:

تميم : مريم .. أعتذر بشدة ولكن لا يمكنك الرحيل .. ستظلي هنا حتى تهدأ الأمور ...

مريم : بأي تهمة ؟

ـ ليس تهمة ولكن الخارج شديد الخطورة عليكِ فعزيز وعائلته وابنتك .. أعتذر .. أقصد غلطتك جميعهم في قسم الشرطة وإن خرجتي قد يتم أذيتك من قِبل مسئولي عملية خطيرة فيُفضل وجودك ..

مريم : حسنًا سأبقى ...

تميم : نشكرك على المساعدة ..

خرجت وتبعني تميم ثم ذهبنا للأسفل :

مالِك : انتهيتم بسرعة ..

ـ لم تكن معلوماتها كثيرة ...

تميم : ماذا سنفعل الآن ..؟

ـ سنفكر ..

أخبرنا أنا وتميم البقية بما حدث في اليومين الماضيين كي نستطيع التفكير جميعنا معًا :

نور : أعتقد أنّ مريم تكذب بخصوص غفران ..

تميم : لماذا ..؟

نور : لا يوجد أم تقدر على عدم رؤية ابنتها لخمس سنوات .. يوجد شئ خاطئ ..

مالِك : لربما ليست ابنتها .. تحليل ؟

سالم : لا يمكن إقامة التحليل لأنه سيأخذ على الأقل عشرة أيام ..

ـ هدفنا هو منع المرحلة الثالثة التي ستحدث بعد ست أيام من الحدوث ...

تميم : ويجب أن نعرف ماهيتها كي نستطيع إيقافها وكيف سنعلم وجميع المعلومات والأرقام قام العميد بمحوها ..

ـ سِجل مكالمات العميد وجميع المنازل والأماكن المسجلة بإسمه أو بإسم عائلته ..

تميم : كيف سنعمل من خلفه ..؟

سالم : كريم سيساعدنا ..

مالِك : هل تثقوا به ..؟

ـ أنا أثق به ..

ذهب سالم ليتحدث مع كريم وشرح له جميع التفاصيل اللازمة وأخبره على ضرورة العمل بسرية وعندما عاد اردفتُ :

ـ ما رأيكم بالذهاب لمنزل العميد..؟

نور : ألا يبدو خطيرًا ..؟

مالِك : نعم .. فلا يجب أن يعلم أنكم كشفتوا امره ..

تميم : ليس خطيرًا ولن يعلم أننا كشفنا أمره .. سنذهب بعد تأكدنا أنه ليس بالمنزل ..

نظر لي تميم بإبتسامة لأنه فهم ما يرمي إليه عقلي فبادلته أنا أيضًا بإبتسامة أثناء نظر الجميع لنا ببلاهة وقاطع ذلك التواصل البصري :

نور : هل أنتم بخير ..؟

مالِك : ما بكما ..؟

سالم : لا يكون العميد في منزله في التاسعة مساءً وذلك الوقت المناسب ..

تميم : الساعة السابعة الآن .. سنتحرك بعد ساعة ..

مازلتُ ابتسم له عندما يفعل لي ولا أفهم السبب ولكن لا بأس فلابدّ أنّ وجهي اعتاد على الإبتسام له (أكثر الأعذار غباءً في العالم) ومع الوقت سأكف عن ذلك ..

جلسنا منتظرين حدوث أي جديد ويلعب التفكير بعقولنا جميعًا ثم أحضرت لي نور القهوة الخالية من السكر كما أحبها وكما تناسب صحتي وخرجت لأقف للشرفة ثم أتى لي مالِك ووقف بجانبي ليتحدث ولاحظتُ نظرات تميم الثاقبة له وكأنه سيأكله ولكنه تحكم بأعصابه :

مالِك : ماذا الآن ..؟

ـ أعتذر بشدة على تصرفات تميم ..

مالِك : لا بأس فهو لا يتحكم بغيرته لأنه مازال ..

ـ أعتذر أيضًا لأنني ظلمتك ..

مالِك : كل ما يأتي منكِ يرتسلُ على قلبي كبهجة حتى وإن كان ألم فقط ..

ـ لماذا تحبني إلى هذا الحد ودون مقابل أيضًا ؟

مالِك : لماذا تسأليني ذلك السؤال كلما التقينا ؟

ـ لأنك لا تعطيني إجابة ..

مالِك : لأنني لا أملكها ..

ـ أنتَ دواء لمرض ليس لدي ..

مالِك : ولكنك دوائي ..

ـ أنا مرضك لستُ الدواء ..

مالِك : رحيل .. مازلتِ تحبيه .. هو مرضك وأنتِ مرضه ولا دواء لكما سوى الفراق ..

****

" أنا تعبت ، لا أقْوى على شيءٍ ، أودُّ لو أدفن
وجْهي في ركبتيكِ وأشعرُ بكفّيكِ يُمسّدان
شعري ، وأبقى هكذا إلى الأبد "

فرانس كافكا

تميم

تنقسم روحي لذلك الوجه الذي يستر خلفه فقد وألم ولكنه يتداعى بغير ذلك تمامًا فيجعل التظاهر داخلي ينعصر من التزعزع ويذُوقه مرارة الحب فيجعل قلبي يفيض بكاءً من الحنين لتلك الأيام التي كنتُ سعيدًا خلالها معكِ ولكن سأحارب لآخر مرة فقط كي لا تجوب روحي حولك بعد الموت لأنّ التأنيب يأكلني .. لآخر مرة رحيلي وحينها ربما لن تكوني رحيلي ...

ينظر لكِ بحب وتبادليه رحمة ومغفرة لا تنتهي في حين أنني أترامى في كل الأماكن كي انال ذرة رحمة واحدة وسأظل أترامى حتى تعفي ..

خرج من الشرفة وتركها بملامح شاردة تنفجر بألم تبرع في إخفاؤه ولكن ليس عني فسارت بي قدمي إليها دون رغبة مني وكأنّي لم أُخذل منها منذُ عدة ساعات فكانت تنظر في الفراغ :

ـ هل أحزنك ..؟

نظرت لداخل عيني ثم هرّبت عينيها كي لا أقرأها :

ـ لم يفعل ولكنك فعلت ..

ـ كيف أحزنتك ؟

ـ وجودك حولي لا يفعل شئ سوى إحزاني .. ارحل بأسرع وقتُ ممكن لأنّ لا أحد هنا يُريدك ..

خرجت من الشرفة هاربةً تاركةً نصف كوب القهوة فتناولته بيدي وسحبتُ رائحته لداخلي ثم نظرت لأعلى السماء فكانت النجوم تنظر إليّ بأسى .....

❊❊❊❊❊❊❊

(قبل خمسة أعوام)
نوفمبر , القاهرة عام 2013

ينامان على العُشب في الثانية ليلًا دون أن يكون القمر وسيطًا لتلك الليلة :

ـ تميم .. اهدأ وتنفس ..

ـ كيف أهدأ ؟ .. بل أخبريني كيف تسترخي هكذا ؟

ـ تمتع باللحظة ..

ـ قفزنا من سور الحديقة العامة دون أن ينتبه أحد .. ألستِ خائفة من الأمن ؟ ..

ـ لا أفعل شئ خاطئ ..

ـ إن تمّ القبض علينا سأدّعي أنكِ اختطفتيني ..

ـ حسنًا .. الآن تنفس من داخلك ولنسمي النجوم ..

ـ كيف سنسمي النجوم ..؟

ـ ستختار النجوم وتسميها بأسماء الذين رحلوا عنك أو مَن تحبهم ..

ـ هل تؤمنين بأنّ الراحلين يتحولون لنجوم ..؟

ـ لا .. لأنّ مَن يرحل تطوف روحه حولنا لتقوم بحمايتنا ...

ـ حسنًا .. سأسمي تلك رحيل وتلك نور ..

ـ فقط ؟

ـ لتكون جميع النجوم في الفضاء لكِ ولشقيقتي ..

ـ ليس لديك سوانا ..؟

ـ بلى لديّ ولكن لا أحب أحدًا مثلكما ..

ـ لتكون جميع النجوم باسمك .. تميمي ..

ـ تيمك ..!

ـ نعم .. التميم هي خرزة كانت تستخدام في الماضي للحماية من الأرواح الشريرة ..

ـ وانا أحميكِ من الأرواح الشريرة ..!

ـ ألستُ تحميني ..؟

ـ بلى .. أحميكِ من كل شئ ..

ـ هل ستحميني من نفسك ..؟

ـ لا أعلم ولكـن اعلمـي دائمًـا أني لـن أؤذيـكِ عـن عمـد وإن انقلبـت السـماء رأسًـا عـلى عقب ..

ـ هل ستكفّ عن حبي ..؟

ـ لا أعتقد ذلك رحيلي فما بداخلي ليس حبًا فقط ..

ـ هل ستخونني ..؟

ـ إن وجدت أجمل منك ..

ـ لن تجد أحد أجمل مني ..

ـ أعلم ولذلك يستحيل أن أذهب لغيرك ..

ـ هل تعدني أنك لن تخونني ..؟

ـ أعدك .. هل ستسامحيني إن فعلت ..؟

ـ لن أسامحك أبدًا بل سأقتلك وأقتلها .. تعلم أني أصبح سيئة عندما أتألم ...

****

هل يُسحَق المرء بسبب خطأ واحد ليس مؤكدًا ؟

أغرق في ذنب قتل داخلي كل شئ فبات الفراغ يتسائل عن رفيق له وإن كان شعور أسودًا ولكن حتى الفراغ يهرب من الوحدة فماذا أفعل أنا ؟ ... تعلمي أني سبق واصدرت لكِ وعودًا بإنعدام فرصة خيانتي فكيف تناقل لكِ القدر تلك القسوة ..؟ كلماتك تثقب روحي بقسوة وكأنك تبرحيني ضربًا دون لمسي ...!

النجوم شواهدي على أنّ تلك الليلة طولها خمس سنوات ولم تنتهي بعد .. غدًا لم يأتي بعد ولن يأتي سوى بكِ وقلبي يأبى صباح لستِ داخله ولكن غروري الذكوري يحاربني في الوقت ذاته رحيلي فأحيانًا أتمنى أن أكون بالفعل قد خنتك كي لا تغرقي في الندم على تلك القسوة وتمرّي بما مررتُ به وقد يسرح بي الخيال بعيدًا في وقت لم غر به بكل تلك الآلام وأتمنى أن تجدي تلك المحاولة الأخيرة بأي نفع رحيلي ..

أخرجتُ من جيبي الحبوب التي أهدتها لي أسيل وتناولت واحدة وقد كانت الثانية لأنني أخذتُ واحدة في الصباح ولعلها تساعدني في تذكر أي لحظة وإن كانت عابرة فستساعدني على تأكيد مدى وفائي لرحيلي ..

شعرتُ بيد على كتفي والتفتُ لأجدها نور وبيدها طعام وأعطته لي :

ـ لم تأكل منذُ الصباح ونحتاجك لأجل القضية ..

ابتسمتُ لها وأخذته من يدها وشعرتُ بفرحة خافتة تنير ظلام وحدتي قليلًا ولو لثوانٍ وحقًا إن القضية كانت نعم الأعذار ، شكرتها ولم تدخل لتتركني بلى وقفت بجانبي :

ـ هل تحبي سالم ..؟

نظرت لي بإندهاش يروق ملامحها :

ـ كيف علمت ..؟

ـ ملامحك نور .. مازلتِ لا تجيدي التمثيل مثلنا ..

ـ أحيانًا أتخيل إن لم تكن تلك الليلة حدثت ..

ـ لم نكن سنقف في شرفة منزل خطيب رحيلي نتخيل ..

ـ لماذا فعلت ذلك ..؟

ـ لستُ متأكدًا إن فعلت أم لا ..

ـ كيف لستُ متأكدًا ..؟

لم أكن أعلم بضرورة إخبارها بسقوط تلك الليلة من ذاكرتي ولكني شعرتُ برغبة التحدث :

ـ سأخبرك ولكن لن تخبري رحيل قبل أن اتأكد ..

ـ تخبرني بماذا .؟

ـ لا أعلم ما حدث في تلك الليلة .. كل ما أتذكره هو خروجي من المنزل في الصباح بعد مشاجرة رحيل وذهابي للفندق وقدوم أسيل فقط ..

ـ كيف لا تتذكر ..؟ .. أتمزح ؟

ـ لا تلفتي الأنظار ..

ـ وما حدث بعد رجوعك للمنزل وإعترافك لرحيل بالخيانة وقدوم أهل أسيل وتشددهم المجنون والهجوم عليكم وقتل الطفل ..

ـ علمت كل ذلك منكِ ومن رحيل بعد الإستيقاظ في المشفى .. لستُ متأكدًا إن كنت خنتها بالفعل ..

ـ تميم .. لا يهم إن كنتُ لا تتذكر لقد اعترفت بخيانتك لها .. أتعلم ماذا ؟ .. لا أثق بك وبكل ما تقوله ولذلك أنتَ تهذي تمامًا الآن ..

ـ لا تصدقي ذلك الخائن الذي لا يتذكر ولكن ألا تصدقي شقيقك ..؟

ـ تلك هيّ معضلتي معك .. أننا أشقاء ولذلك لم أقتلك فكُن شاكرًا لصلة الدم التي لا أفتخر بها ..

خرجت تاركة خيبة أمل كبيرة تقف مكانها تجاورني وتربت على كتفي بحنو وكأنها تعلم أننا رفقاء في الدرب ..

مرّت الساعة بأكملها على قلبي واقفًا وحدي أفكر حتى ألقى سالم اسمي في الهواء لأذهب لهم :

رحيل : هل نذهب ..؟

ـ قبل أن نذهب .. أين حارس الأمن وليد ؟

مالِك : تركته ..

ـ لم تسأله سوى عن الورقة ..

مالِك : لم يخبرني شئ سوى عن الورقة .. لا يعلم أي شئ ..

رحيل : هل نتحرك ؟

خرجتُ للسيارة وتبعتني رحيل وأخبرتها أني مَن سأقود و وافقت ثم سار بنا الطريق دون كلام حتى توقفت في احدى المحطات لأزود السيارة بالوقود وسألتها إن كانت تريد شئ فلم تجبني وعُدت للقيادة بعد أن تزودت السيارة حتى وصلنا للمنزل فكان محاطًا بسور ويقف عليه حراس بشكل مبالغ ورأينا من بعيد العميد يخرج فالتففتُ بالسيارة لندخل من الخلف فكان السور طويلًا فسألتني :

ـ كيف سندخل ؟

ـ أستطيع التسلق بسبب طولي أما أنتِ فقصيرة ..

ـ أتقول عني قصيرة ..؟

ـ طولك أقصر مني ..

ـ لستُ قصيرة ..

ـ رحيل .. أرجوكِ .. نحن في منتصف العملية .. عقلية النساء تلك لا تجوز الآن تمامًا ..

ـ حسنًا .. ولكني لستُ قصيرة ..

ـ لستُ قصيرة .. أعتذر .. كيف سندخل الآن ؟..

ـ ستشبك يدك كأنك تصنع سُلمًا حتى أستطيع الوصول للسطح ..

ـ ثم .. هل ستستطيعي رفع جسدك ..؟

ـ بالطبع .. سأستطيع ..

ـ ما رأيك في أن أصعد أنا أولًا وأقوم بسحبك ..؟

ـ حسنًا .. اصعد أنتَ أولًا ..

ترجلنا من السيارة بعد ركنها بعيدًا وذهبنا بالقرب من السور وقفزتُ أنا أولًا ومسكتُ بالسور ثم سحبت جسدي لأعلى وجلستُ عليه وأمسكتُ يد رحيل حتى رفعتها لأعلى وجلست بجانبي وقالت :

ـ المنظر رائع من هنا .. هل نبقى قليلًا ؟

نظرتُ لها مبتسمًا :

ـ نحن في منتصف العملية رحيل .. هل سننزل ؟

ينسى قلبها الجميل ذلك كل ما حدث بسهولة وتعاملني وكأننا لم نفترق أبدًا وتلك تكون أسعد لحظة قد أمرّ بها ، التففنا لنكون في إتجاه المنزل :

ـ سأقفز أنا أولًا ..

ـ لماذا لا أقفز أنا أولًا ؟

ـ كي لا تندفعي وتكسر قدماكِ ..

ـ أعلم كيف أقفز بطريقة صحيحة ..

قفزتُ أثناء تحدثها ثم رفعتُ لها يداي في إنتظار أن تقفز :

ـ لن أقفز في ذراعيك ..

ـ رحيل .. لا وقت للعناد .. هل يمكنك الإسراع ؟

ـ ستتركني أقع .. لا أثق بك ..

ـ لن أتركك تقعي مجددًا .. إن وقعتِ سنقع سويًا ..

قفزت لداخلي وأنزلتها أرضًا :

ـ هل تركتك ..؟

ـ لكنك فعلت من قبل ..

لم يكن هناك أيًا من الحراس في الحديقة الخلفية فتسللنا بهدوء حتى وصلنا إلى سُلم الطوارئ في الخلف وصعدنا عليه ودخلنا للمنزل بهدوء فكانت الأنوار مقفلة ولكن هناك ضوء خافت آتٍ من الحديقة مما ساعدنا على الرؤية بوضوح وبدأنا بالبحث في الأسفل فلم نجد شئ مثير للإهتمام ثم صعد كلانا للأعلى فكانت غرف النوم والمكتب فقط ثم استوقفنا الزمن لثواني كي نفكر :

ـ ماذا الآن ..؟ .. البيت فارغ ..

ـ إن كان فارغًا فلماذا يوجد هذا الكم من الحراس ؟

ـ أين قد يكون ذلك المكان ..؟

ـ لربما ذهب إليه الآن ؟

ـ لا .. يذهب لزيارة عائلته دائمًا ..

ـ نعم .. عائلته لا تقطن معه لأنّ هذا المنزل..

ـ معرض للخطر ..

ـ القبو..!

أدركنا أنه المكان الوحيد الذي لم نبحث داخله فركضنا بهدوء لأسفل السلالم فلم يكن هناك سوى غرفة واحدة ولكنها مقفلة وتحتاج لرمز إدخال ويلزم بصمة إصبع وإن كان خاطئ سيرن جرس الإنذار وسينتبه الحراس لنا فنظرت لها ثم قالت :

ـ يجب أن ندخل اليوم .. فكاميرات المراقبة التقطتنا ولا بدّ أنه علمَ بوجودنا ..

ـ لنكسر الباب وأنا سأذهب لأعوق الحراس ...

ـ متأكد ..؟

ـ نعم ولكن أسرعي .. وان سنحت الفرصة لكِ اهربي كي تنقذي أي دلائل أو معلومات ..

تعاون كلانا على كسر الباب وبعد العديد من المحاولات انفتح ورنّ جرس الإنذار ودخلت رحيل وذهبتُ أنا لأمنع الحراس والتهيتُ كثيرًا معهم نظرًا لكثرة عددهم حتى مرّ الوقت دون أن أدري ثم ترنحتُ بشدة حينما تم إعطائي ضربة على رأسي ثم سواد فقط حتى رأيتُ ضباب مشوش ثم رحيل تقف حاملة سلاحها جهة رأس العميد وتبكي بشدة وكأنها طفلة في السادسة وحولها العديد من الحراس وحاولتُ التحرك ولكني عجزت ولم أفهم سبب بكاءها بتلك الطريقة وكأنها فقدت شئ ثم سواد مجددًا ....

****

" الحائط الذي لا تستطيع تفاديه ، اصطدم به بكل قوتك "

رحيل

تنهار كل تلك السنوات والأيام على رأسي وتتلاشى حياتي السابقة وكأنها لم تكن وكأني لم أحب أو أنضج أو أتزوج أو أصبح أم ..

مازلتُ تلك الرضيعة التي أيقظت كهلًا بسبب بكائها المزعج ليأخذها لملجأ بعد النظر لأوراقها وإيقان انه تم التخلي عنها منذُ فترة وجيزة وليست بمرغوبة .. أُدعى رحيل ولكني لم أرحل عن أحد قط بل رحلني الجميع وكأنّ اسمي وصمة عار ستظل مرافقة لي حتى الموت .. تمّ التخلي عني من قِبل الكثير من العائلات لأنني لم أكون مناسبةً بسبب تمردي و رفضي لقواعد لعينة يفرضوها عليّ وكأني حيوان أليف سينصاع لصراخهم وشروطهم حتى وجدني جميل .. أبي الذي يملك حنانًا لا يوجد في البشر أجمعين وعلى الرغم من رغبته بي فقط ولكني أخبرته أني لن أذهب دون نوري و وافق دون تفكير وأصبح حينها أبي الذي انتشلني من بقايا اليأس والفقر وجعلني أنا ، حدثني مطولًا عن أولاده الذين هجروه وتركوه وحيدًا وخوفه المتتالي من الوحدة وأحلامه المنتهية فكان يعمل مثلي الآن ولم أفعل شئ سوى إكمال مسيرته المهنية ولكن كعادة الحياة .. رحل عني ولكنه الوحيد الذي رحل رغمًا عنه فلم يهجرني فقط بل هجر الحياة بأكملها وقد ظننتُ أنه قدر ولكني لم أعلم أنه ليس كذلك ، في الربيع التاسع والعشرين ولم يبقى معي سوى واحدة .. رفيقتي منذُ قِصر شعري وحتى يشيب .. نوري ، وجدت عائلتها منذُ أقل من ست سنوات بعد إتخاذنا قرار البحث عنهم وحينها قابلتُ تميم .. مَن سرق قلبي وأعتقد أنه لم يعيده إلى الآن والأمر المثير للدهشة أنّ قلبي ليس معه أيضًا ...!

كنتُ سأصبح أم ولربما كان سيحل ذلك كل ما فات ومضى من مساوئ حياتي .. كنتُ سأحاول التعويض عن طفولتي المفقودة وعن إنعدام تواجد أمي ولكن كنتُ

.. فخيانة تميم لم تأخذ حبي له أو منزلنا أو حياتنا سويًا فقط .. بل أخذ مني طفلي وأمومتي بكاملها وسلب مني ماهيتي التي أردت أن أكونها ولم يكتفي بل عاد ويرغب في جعل حياتي تنقلب رأسًا على عقب كما فعل من قبل ويطمع في غفران لا يستحقه ...

دخلت تلك الغرفة محاولة الإسراع فرأيت الكثير من الملفات والدلائل ولم أملك الوقت لقراءتها فأخرجتُ هاتفي والتقطتُ صورًا لكل ما استطعت وارسلتها لنور ثم رأيتُ ممرًا في تلك الغرفة فسرتُ فيه وكان مظلمًا فأنرتُ الطريق بهاتفي ثم رأيتُ صور لي حوالي قبل سنتين واتسعت حدقتا عيني عندما ازدادت تلك الصور فوصلتُ لمراهقتي وطفولتي ..!

التففتُ لأرى الجانب الآخر فكانت صورة والدي و العميد طارق سويًا يضحكان بتناغم وكأنّهما أصدقاء منذُ زمن ليس بقصير ولكني لم أكن أعلم بصداقتهم أبدًا ولم يحدثني أبي عن تلك الصداقة ..

قاطع تفكيري النور الذي طغى على الغرفة لأنّ أحدهم أشعله فنظرتُ خلفي مسرعةً فكان العميد ينظر لي بإبتسامة وأنا التقط أنفاسي بصعوبة :

ـ لماذا يا عزيزتي ؟ .. لماذا تبحثين في كل ثغرة لإكتشاف أي شئ كمن رباكِ تمامًا ..؟ ..

ـ تعرف أبي ؟

ـ صديق عمري .. أتعتقدي أنّ مهنتك كانت صدفة ؟

ـ ماذا تقصد ..؟.. أخبرني كل شئ الآن ..

ـ لا تقلقي سأخبرك .. فعلى كلٍ لن تخرجي حية مثل من رباكِ فهو قُتل يوم علمَ الحقيقة ...

ـ قُتل ! .. كيف ؟.. أبي ..

ـ ليس أباكِ .. أنا أباكِ للأسف ...

ـ تكذب .. بالطبع تكذب .. لماذا سأصدق هذا الهراء الآن ..؟

ـ لا تصدقي أو صدقي .. لا أهتم ..

ـ تحاول تشتيت عقلي ..

تحرك من مكانه وذهب باتجاه المكتب وأخرج ملفًا وتحرك اتجاهي واعطاه لي :

ـ تحليل الوراثة .. فنحنُ نقوم بالكثير من التحاليل ..

قالها ساخرًا وكأنها مزحة وتناولتُ أنا الملف وقرأته فكان اسمي داخله ونسبة تطابق الحمض النووي عالية فالقيته في وجهه :

ـ ليس دليلًا .. ربما تم تزويره ..

ـ رحيل .. لا أملك الوقت لإثبات أي شئ ولذلك سأتابع..

ـ أنتَ والدي وتخبرني بذلك وكأنك تلقي السلام ..

ـ حسنًا .. سأتابع ثم تغضبي بعد أن أُنهي كلامي ..

ـ ماذا تقول ..!

ـ سأقتلك بعد تلك المحادثة ..

ـ هل ستقتل من تقول عنها ابنتك ..؟

ـ قتلتُ أخي من رباكِ ووالدتك .. هل سأعجز عن قتلك ..؟

ـ والدتي ..! .. أقتلتُ أبي جميل ..؟

ـ عندما علمَ أني المسئول عن عملية الأمس .. آمرت أحد رجالي بقتله فذلك الحادث لم يكن صُدفة وعدم عثوركما على محامي لتلك القضية لم يكن صُدفة كذلك .. في المشفى قبل أن يموت أخبرك عن رغبته أن تصبحى في جهاز الشرطة كي تفعلي ما كان سيفعله قبل الموت .. نعود قليلًا بالزمن .. لم

يأخذك من الميتم بمحض الصدفة بل عندما علم أنكِ ابنتي وقد تركتك ...

ـ لماذا تركتني ..؟ هل كنتُ سيئة لتلك الدرجة ..؟ ..

ـ لم أملك وقت للتربية ..

ـ لماذا قتلته إذًا ..؟

ـ لأنه علمَ بالعملية ..

ـ اللعنة عليك وعلى العملية .. كيف لكَ أن تقتله ..؟

ـ ألن تسألي اي شئ آخر ..؟

ـ أمي ..؟

ـ عندما علمت أنني سئ .. كانت في طريقها للإبلاغ عني وكنتِ حديثة الولادة فحاولت إيقافها في البداية ولكني عجزت ف...

ـ قتلتها .. هل الأمر بتلك السهولة ؟ .. قتلت أمي وأبي..

ـ وتميم ...

ليس لتلك الدرجة أُصفع بخذلان الماضي ، دفعته بيدي و ركضتُ مسرعة خارج الغرفة لأرى عزيزي فكان نائمًا على الأرض دون حِراك فركضت له وحاولتُ جعله يستيقظ بالنداء وبالصراخ وبكل ما قد أفعل ولكني عجزت وهنا كانت أعضائي تتداخل وروحي تحترق من داخلها ومن ثم أتى العميد من خلفي فنهضتُ من الأرض ببكاء قد لم أبكي مثله في حياتي وأخرجتُ سلاحي و وجهته جهة رأسه :

ـ ماذا الآن ؟ .. هل ستقتليني ..؟

ـ تعلم أني أستطيع ..

ـ أرأيتِ كيف أنّ الماضي يجعل منك إنسانة ضعيفة يُشمئز منها ..؟

ـ لا يمكن أن تكون قويًا بجعل الآخرين ضعفاء ..

ـ لم أخطئ .. كل ذلك في سبيل مهنتي ..

ـ المهنة خاطئة ولذلك كل السبل إليها ستكون خاطئة

ـ أنا الجاني الآن ..؟

ـ كنتُ الجاني دائمًا ولكني اخطأت في مكان البحث عنك ..

ـ هل ستعاقبيني الآن بسبب العملية أم حياتك ..؟

ـ كلاهما ..

ـ ولكن إن فعلتِ لن تعلمي مكانها ...

ـ من هيّ ..؟

ـ ستبحثي عنها في العالم بأكمله وستكون هيّ بالقرب منكِ ولكنك لن تعلمي .....

ـ من هيّ ..؟

ـ أشفق عليكِ .. اقتلوها ..

قبل أن يتحرك أحدهم اتجاهي رنّ صوت إنذار سيارة الشرطة فتوتر الجميع وابتسمتُ أنا له أثاء بكائي الهستيري :

ـ من سيُقتل الآن ..؟

حاول الركض من الخلف فأوقفته فنظر لي وبثقة :

ـ ليس لديك الوقت لمطاردتي ..

أخرج سلاحه وأطلق على تميم ولم أستطع منعه وهرب و وقفتُ أنا وكأنّ روحي سترحل عني ثم رأيتُ نور وسالم ذاهبين نحوه بركض وأنا عجزت عن التحرك

فداخلي مازال يؤمن أنه مجرد كابوس لا أكثر وسأستيقظ قبل خمس سنوات على صوت بكاء طفلي وأخبر تميم ليراه ولكني لم أستيقظ ...

جاء لي سالم ونور مع تميم وذهبت معه للمشفى وحاول التحدث معي ولكني لم أقدر على التحدث أو الإستيعاب فتحركتُ في منزل العميد وأخبرت الجميع بما على كلٍ فعله ثم خرجتُ من المنزل وركبتُ سيارتي وسرتُ بها حتى مسكني .. كنتُ بداخله صباحًا ولكني لم أشعر بشئ فتحايلتُ عليه وعليك وادّعيت النسيان ولكني لم أفعل .. لم أنسى بل أتذكر أصغر التفاصيل ، صعدتُ السُلم وذهبتُ لغرفة النوم وأخرجت ثيابك القديمة التي لم تلمسها منذُ سنوات ولكن رائحتك مازالت فيها عزيزي .. ارتديتُ احداها ونظرتُ للمرآة فأتى لي صوتك من الخلف وأنت تسخر من كِبر ملابسك عليّ فابتسمت ثم نظرتُ للخلف لأحادثك فلم أجدك فأدرت أنه ليس صوتك بل ذكرى مركونة في عقلي من ذلك الماضي .. فتحتُ أحد الأدراج فرأيتُ صور ابننا الذي لم يخرج بنَفَسه إلى العالم .. كان صغيرًا جدًا وكان يجب علينا حمايته ولكننا لم نفعل .. أتتذكر أنت يوم أخبرتك بحَملي .؟ .. صرخت بسعادة وبكاء وأخبرتني : ستحضرين شيئًا صغيرًا لذلك العالم وسيكون لنا .. ، لم أحضره يا عزيزي ولم نعد معًا .. سألتني عن حبي لغيرك ولكنك لا تعلم أنني لم أستطع أن أشعر بالآمان مع غيرك ولم أشعر بالسعادة مع أحد سواك ولا أعلم السبب فيبدو أنك أصبحت جزءًا مني دون دراية ولا أريد أن أخسرك .. يكفي ما مضى ويكفى ذلك الفقدان فداخلي وصل لأعلى مراحله .. لا أريد أن أكون قوية ولا أريد الفوز في تلك الحرب .. أريدك أن تأتي وتخبرني أنّ كل شئ سيكون على ما يُرام ..

نمتُ على جانبك واحتضنتُ وسادتك لعلها تكون بديلًا يحسن من أي شئ ولعلك تأتي فأنا التي انتظرتك دائمًا ومازلتُ أنتظرك حتى بعد مجيئك مازلتُ أنتظر تميم

الأبـيض الضـاحك الـذي يربـت عـلى وجعـي ويخففـه .. هـل سـتعود .؟ .. أنـا في انتظارك أو أنا في إنتظاري ...

****

" الحفرة التي بين وجنتيك وفمك .. خصلات شعرك الكستنائي الساقطة على عينيك ذات لون البندق .. كل ما ملكت وما سأملك .."

تميم

تصميم

إن وصل بنا الحب للنهاية تاركًا لنا وحدة قاتلة وبعضًا من الألم فلا تيأسي عزيزتي فستكون لنا حياة أخرى خالية من كل ما ساء واعلمي دائمًا أنّ كل ما يأتي منك على قلبي كجائزة ...

فتحتُ عيناي في المشفى وبجانبي نور :

ـ ما الذي حدث ..؟

ـ لا أعلم .. أتينا بوقت متأخر وأنتَ أُصِبت ولكنك كنتُ مرتدي واقٍ للرصاص و..

ـ رحيل .. أين هيّ ..؟

ـ تركناها في منزل العميد ..

ـ كيف تركتوها ..؟ .. هل هيّ بخير ؟ ..

ـ لا أعلم .. لم أنتبه ..

ـ نوور .. أتمزحين ؟ .. هاتفيها ...

أخرجتُ هاتفها وتحدثت ولكنها لم تجيب أبدًا وذلك ما زاد قلقي حول استحالة أن تتركني مصاب فنهضت وارتديت ملابسي. ولم أعير كلام نور عن ضرورة الراحة اهتمامًا وخرجتُ من المشفى ثم هاتفتُ كريم ومَن في منزل العميد والقسم ولم تتواجد بأيًا من الأماكن التي ظننتها ثم حادثني سالم وأخبرني أن أذهب لمنزل

العميد فتوجهتُ له مسرعًا كي أعاود البحث عن رحيلي ، عندما وصلت كان الكثير من الناس هناك و عائلة العميد أيضًا ثم قابلتُ سالم :

ـ ما الذي حدث ..؟

ـ أخذ العميد أثناء هروبه أوراق المرحلة الثالثة ولكن رحيل قد التقطت لها صورًا وأرسلتها لنور ويوجد أمر آخر ..

ـ العميد هو القائم على العملية ..

ـ كيف ؟ .. أهو من أسسها ..؟

ـ نعم ..

ـ أتعلم أين رحيل ؟ ..

ـ كانت هنا منذُ ساعتين ورحلت دون أن أدري ..

ـ هل كانت بخير ؟

ـ كانت غريبة .. كانت تبكي عندما أُصبت وظلت واقفة مكانها دون حِراك ثم تصرفت بشكل طبيعي و راجعت الدلائل والأوراق واختفت وعندما سألتهم أخبروني أنها رحلت ..

ـ كيف علمتم بأمر العميد ..؟

ـ كريم اكتشف أنّ سجل مكالمات العميد كان داخله أرقام الأشقر وعزيز وعارف والعديد من تجار المخدرات وفي الوقت ذاته كانت رحيل ترسل صور الأوراق لنور ففهمنا الأمر ثم جئنا مع الشرطة ...

ـ ألم تخبرك رحيل بأي شئ ؟

ـ لا .. يوجد في الغرفة أمر مثير للدهشة .. أعتقد أنك يجب أن تراه ...

ـ ماذا ..؟

أشار لي بيده لأذهب للغرفة وتبعته ثم دخلتها فلم أجد شئ وسار سالم في ممر طويل وتبعته وكانت صور طفولة رحيل حتى الآن تتناثر دون ترتيب على الحائط مما أثار دهشتي :

ـ هل تعرفه ..؟

قالها مشيرًا لصورة العميد ومعه أحد ذي وجه مألوف :

ـ اللعنة .. إنه والد رحيل ونور جميل ..

ـ كيف ؟ .. كيف والدهم ؟ ..

ـ تبناهم من الميتم قبل حوالي اثنا عشر عامًا ومات بعدهما بثلاث سنوات .. ولكن ما علاقته بالعميد ..؟

ـ أخبرني كريم أنه كان يعمل بالقسم منذُ سنوات طويلة ..

ـ نعم فكان يعمل في جهاز الشرطة ولكني لم أكن أعلم أنه صديق للعميد طارق ..

ـ لا أحد كان يعلم ...

ـ أين كريم ..؟

ـ في الأعلى .. لماذا ..؟

ـ سأجعله يعلم مكان رحيل من هاتفها .. بالتأكيد تعلم شئ ..

صعدتُ لكريم وأخبرته وبالفعل نجح في معرفة مكانها واعطاني العنوان فذهبتُ مسرعًا إلى سيارتي ومن ثم انتبهتُ أنّها في منزلنا فتسارعت الأسئلة في عقلي عن احتمال أن لا تكون بخير ولكن سرعان ما رَسَت افكاري أنه ربما نست في المنزل شيئًا من الصباح و ذهبت لتحضره وقُدت السيارة لأذهب لها وعندما وصلت كانت الأنوار مطفأة فدخلت وناديت عليها ولم تجبني ثم رأيتها تنزل لأسفل و وجهها شاحب :

ـ هل أنتِ بخير ..؟ .. حاولنا الوصول إليكِ ولم تجيبي ..

ـ هل عُدت ؟

ـ لم أرحل ..

ـ بلى .. رحلت وتركتني ..

ـ رحيل..

ـ لا تبرر أخطائك .. تطمع في الغفران وصدق أني أريد أن أغفر ولكن لا أستطيع وكأني سأخون روحي مثلما فعلت أنتَ .. لماذا رحلت ؟ ..

ـ لم أقدر على مواجهتك و..

ـ لا اتحدث لما بعد تلك الليلة .. لماذا رحلت بعد شجارنا ..؟ .. ما أسوء ما كان سيحدث لو لم ترحل .. هل كنا سننتهى بسبب شجار تافه ؟ .. لم نكن نعلم جنسه .. كان صبيًا .. أخبرني الطبيب ولكنك لم تعلم .. هل تعلم كم عانيت وحدي ..؟ ..

ـ لم تكوني وحدك .. نور كانت دائمًا بجانبك .. أنا الراحل والمخطئ والخائن والمتسبب في كل ما حدث .. هل أنا سعيد الآن ؟ .. لم أسعد مرة واحدة منذُ تلك الليلة .. عانيتِ كثيرًا ولكن لم تعاني وحدك .. أنا أيضًا كنتُ في ركن من ذلك العالم أبكي ندمي .. دائمًا كنتُ أهرب للنوم كي لا أشعر بشئ .. كان ابني أيضًا .. لم أخنك أبدًا .. فقط حادثتُ أسيل عنك .. كل ما حدث كان سوء تفاهم ..

ـ مازلت مذنب ومازلتُ أعجز عن مسامحتك .. لماذا اخترتني ؟ .. كان بإمكانك إختياره ولكن لم تفعل ...

ـ هل كنتُ أتركك للموت بإختياري وارادتي ..؟

ـ اتركني .. هل الموت سيكون أصعب من تلك الحياة ..؟ .. أعجز عن كرهك وعن حبك ولا يطاوعني جسدي لقتلك .. أنا في المنتصف المميت لم أتقدم ولم أتخلف ..

ـ لم تتقدمي ! .. ماذا عن مالِك ..؟

ـ نسيت أمرًا .. مازلتُ زوجتك .. حتى لم تحررني منك قبل أن ترحل .. ولم يكن لديّ الجرأة لأقابلك كي ننفصل ..

ـ إذًا .. هل تريدي الإنفصال ..؟

ـ وإن انفصلنا رسميًا .. هل سيعالج هذا قلبي الذي انطفأ بسببك ..؟ .. مالِك يحبني كثيرًا و ربما أكثر منك ولكني لا أفعل شئ سوى أن أظلمه لأنّ قلبي يأبى الجميع سِواك .. لماذا فعلت ذلك ؟ ...

ـ لم أفعله بإرادتي .. داخلي يحترق كثيرًا .. ربما فقدتِ ابنك ولكني فقدتك أنتِ وابنى وشقيقتي ..حتى أنني فقدتني .. هل كان سهلًا ؟ .. لم يكن .. تلك المرة وقعت في القاع وحدي لأنني تركت يدك .. لم أفعل شئ سوى إيذاءك ولا أسامح نفسي ولكني أريدك أن تسامحيني كي أرحل بسلام ..

ـ ترحل عني مرة أخرى .. أتعلم أمرًا ؟ .. أنتَ لم تعد من الأساس .. أنتَ لست تميم الذي أحببته .. أنتَ قتلت تميمي الذي كان يحميني ولذلك أنا في تلك الحالة ..

ـ إن بقيت .. هل ستهدأ تلك الدموع المتراكمة فوق عينيكِ ..؟ .. رحيلي هو الأنسب .. لأني لا أستحق فرصة أخرى ولا أستحق غفرانك .. سأرحل اليوم للأبد ولن أعود لأؤلمك مرة أخرى ..

ـ لا ترحل .. القضية لم تنتهي بعد ..

ـ لأجل القضية فقط ثم سأرحل ..

ـ لأجل القضية فقط ثم ..... ارحل ..

ـ سأذهب ..

ـ انتظر .. سآتي معك ..

ـ هل سنعمل وأنتِ مرتدية قميصي ..؟

ـ لم يكن بالأعلى سوى ملابسك ولذلك..

ـ سأنتظرك هنا ...

هل انتهت كل فرص البقاء وحان وقت الرحيل عزيزتي ؟ .. هل فاز القدر مرة أخرى علينا ؟ .. ربما لم يكن الحب وحده كافيًا لمواجهته بل كنا نحتاج القوة لنحارب ولكننا لم نملكها وهنا انتهى الأمر و رحل الحب عنا ولكنه لم يرحل منا ..!

بعد دقائق عادت مرة أخرى وأصبحت بحالة أفضل ثم ركبنا سيارتي :

ـ تميم ..

ـ نعم ..

ـ عندما أتيتُ لم أجد الشوكولاه الحارة ..

ـ سأحضرها لكِ ..

أتمنى أن تكون تلك أكبر مشكلاتك دائمًا رحيلي ..

كنا ذاهبين إلى قِسم الشرطة وفي الطريق توقفتُ عند إحدى المحطات و أحضرتُ لها تلك الشوكولاه ثم شعرتُ أنّ هناك أمر خاطئ بخصوص رحيل :

ـ هل أنتِ بخير بإستثناء كل ما تشعري اتجاهي ؟

ـ لماذا تسأل ؟

ـ تخفين أمرًا عني ..

ـ كيف علمت ؟

ـ شعرك يقع .. ويقع فقط عندما تتوترين بشدة أو يتم ذكر أمر بخصوص عائلتك .. ماذا حدث ..؟ ..

ـ لم يحدث شئ ..

ـ رحيل .. لا تكذبي ..

ـ أوقف السيارة ..

ـ لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟ ..

ـ بسرعة ..

أوقفتُ السيارة وترجلت منها فتبعتها :

ـ أين تذهبين ؟.. نحن في منتصف الليل ..

ـ هل تتذكر ..؟

ـ ماذا ؟

ـ السيرُ في آخر الليل سويًا ..

ـ لم أنسى كي أتذكر ..

ـ تريد أن تعلم ما حدث ؟

ـ نعم ..

ـ العميد طارق يقول انه أبي ..

ـ أبيكِ ! .. كيف ؟..

ـ لا تندهش .. يوجد الكثير بعد ..

ـ تركني العميد وبعد سنوات عندما علمَ أبي جميل بالأمر أتى وتبناني ولم يخبرني كي لا اشعر أنه يعطف عليّ لأني إبنة صديقه وبعد سنوات علم أبي أنّ العميد هو المسئول عن بعض الأعمال الإرهابية وكان في الطريق ليخبرني عندما أمر العميد أحد رجاله بقتل أبي وذلك الحادث لم يكن صدفة .. وعدم عثورنا على محامي لم يكن صدفة أيضًا .. أتعلم أنّ نور أصبحت محامية بسبب ذلك الأمر ؟ .. قتل أبي مثلما فعل مع أمي عندما علمت أيضًا وكنتُ حديثة الولادة ولم يملك الوقت لتربيتي فرَحلني ..ألا تجد أنّ تلك الأحداث مثيرة للضحك ..؟..

ـ رحيلي..

ـ رحيلي ! .. لم يناديني أحد بذلك الإسم منذُ سنوات

ـ هل نقتله ..؟

ـ العميد ؟

ـ نعم ..

ضحكت بشدة :

ـ لنقتله ...

ـ هل نركض ..؟

ـ كيف نركض ..؟

ـ نركض ..

ـ لنركض ...

مسكت يدها وكانت تبتسم ثم ركضنا معًا وكنا سعداء بشدة وكأنّ تلك ذكرى كان من المفترض أن تحدث منذُ سنوات وجاءت متأخرة ولكن لا يهم يكفي أنها جاءت ثم اختفت الأرض فجأة وسقطنا دون انتباه في حفرةً ما وبعد دقائق :

ـ رحيل .. هل أنتِ بخير ؟

ـ نعم .. ماذا عنك ؟

ـ بخير ولكن ماذا حدث ؟

ـ لا أعلم .. لماذا أسير خلف قراراتك العجيبة ؟

ـ أكان جيدًا إن تم أكلنا ؟

نظرت لي ثم ضحكت بشدة ليضحك عالمي بأكمله :

ـ تلك كانت جملتي ..

ـ لم يكن يجب عليكِ سرقة جملتي ..

ـ ماذا الآن ؟ .. هل سقطنا في حفرة ؟

ـ لا .. سقطنا في القاع ..

ـ سقطنا في القاع ! .. ماذا سنفعل الآن ؟

ـ لنستلقي ونشاهد النجوم ..

ـ تميم .. لا تسخر مني .. كنت طفلة ..

ـ هل سيكون القمر شاهدًا على القاع ؟

ـ دائمًا ما يكون القمر شاهدًا على كل شئ حتى وإن

لم نراه ...

****

"لنسرق ذكرى من الماضي ونعيشها اليوم للمرة الأولى"

رحيل

تشتت مشاعرى بالكامل وأشعرُ بأنّ كل شئ اختلط والكثير من الأسئلة التي تعوى بعقلي بخصوص هجر الجميع الدائم لي وخاصةً أبي أو الذي يدّعي أنه كذلك ، كيف له أن يكون أبي ؟ .. الأبوة لا تكون بالإنجاب فقط .. حسنًا وإن لم يكذب ليست تلك الحقيقة وإن وافقها العالم أجمع فذلك الشيطان لم ولن يكون بينه صلة سوى أنه كان عميدًا فقط لا غير فهو لا يستحق سوى ذلك ....

تميم : هاتفي في السيارة .. هل تحدثي نور ..؟

أخرجتُ هاتفي وبعد محاولات عديد ليلتقط الهاتف تغطية نجحنا وتحدثتُ مع نور وبعد مرور ساعة في إنتظار نور ودون أن نتحدث أتت هي وسالم وأخرجونا :

نور : هل سيبرر أحدكم ؟

ـ ماذا ؟

نور : ماذا تفعلون في حفرة عميقة للإنشاءات ..؟

تميم : سقطنا ..

نور : كيف ؟

سالم : نور .. ليسوا صغار لتعاتبيهم بذلك الشكل ..

نور : مرّ ساعتان وهو خرج من المشفى وهي اختفت .. لم تفكرا في أني قد أقلق ..

ـ تميم .. كيف خرجت من المشفى ؟

سالم : كان يرتدي واقٍ للرصاص ..

تميم : ما هيّ المرحلة الثالثة من العملية ؟

سالم : خمس قنابل وسيتم توزيعهم على أماكن مختلفة ويوجد تفاصيل الأماكن والوقت والتاريخ وأسماء الإنتحاريين وعناوينهم ومكان القاعدة التي سيخرج منها القنابل وأرسلنا القوات المكان للقاعدة فكان فارغًا تمامًا ..

تميم : عنواين الإنتحارين ؟

سالم : لا يوجد بها سوى عائلاتهم وجاري التحقيق معهم وإلى الآن لم نعلم أي شئ وجميعهم ينكرون تورط أولادهم في ذلك الأمر ولكن معنا صورهم وجاري البحث عنهم ..

ـ لنحقق مع عزيز والأشقر ..

سالم : وعارف أيضًا .. استيقظ .. لم يعد لوعيه تمامًا ولكنه في حالة تسمح للتحقيق ..

ذهبنا للقسم ولم نأبه لتأخر الوقت وفور وصولنا أتى لنا كريم بالقهوة كي نتمكن من الإستيقاظ طوال الليل وتحدثنا قليلًا ثم دخلتُ للتحقيق مع الاشقر :

ـ مرحبًا ..

ـ بحاجة المساعدة لدرجة أن تعملوا بعد منتصف الليل ..

ـ نريد أن ننتهي منكم .. ما هيّ خطتكم البديلة ؟

ـ خطة بديلة ..!

ـ عند علمنا بماهية العملية ..

ـ لم تعلموا بماهية العملية .. تحاولين خِداعي ..

ـ مخدرات .. تجارة بالأعضاء .. متفجرات ..

بدأت علامات الدهشة ترتسم على وجهه ثم أخبرني جسده بالتوتر البادي عليه :

ـ ليس لدينا خطة بديلة ...

ـ أتتوقع مني تصديق ذلك ..؟

كان يهرّب عيناه بشكل غريب ويلتفت في الأرجاء وكأنه يخشى شيئًا :

ـ لا تقلق .. العميد ليس هنا ولا أحد يقدر على إيذاءك ...

ـ الأمر ليس كما تتخيلين .. يوجد حقيقة خلف ذلك

ـ مثل أنه والدي وأنه قاتل ..

ـ هل علمتِ بذلك ومازلتِ تتابعين القضية ..؟

ـ نعم .. ولذلك يجب أن تعلم أني لن أتخلى عن إيقافه ..

ـ لن تنجحي ..

ـ لن أناقش معك ذلك .. أين الإنتحاريين ؟..

ـ في القاعدة ..

ـ لا تحاول الاستغباء معي .. تعلم أنهم هربوا ..

ـ لا أعلم إلى أين هربوا ..

ظللتُ معه حوالي ساعة كاملة محاولةً الوصول لأي معلومة منه بكل الطرق ولكنه كان بارعًا في الإخفاء ولم يقول أي شئ حتى كدتُ أن أفقد طاقتي وفقدتُ الأمل في الحصول على معلومات منه وفي النهاية خرجت فاقدة الأمل :

نور : هل أنتِ جائعة ..؟ .. تبدين شاحبة ..

ـ لا .. يمكنك أنتِ الرحيل فعلى كلٍ لا يوجد ما تفعليه ..

نور : أدعمكم ..

تميم لنور : أليس لديكِ عمل ؟

نور : قمتُ بتأجيل كل القضايا خاصتي لأساعدكم ..

ـ ماذا سنفعل الآن ..؟

سالم : سنأكل ..

ـ لا تحاولوا فعل ذلك .. أنا بخير وسنتابع العمل .. سالم .. أخبرهم أن يحضروا عزيز ...

باءت محاولات الجميع لجعلي افضل بالفشل فلا شئ سيجعلني افضل سوى انتهاء تلك القضية وقتلي للعميد أو من يدّعي أنه أبي ، بدأ التحقيق مع عزيز في الغرفة وكان خائفًا بشدة :

ـ أين ابنتي ..؟

ـ بخير تمامًا ..

ـ لا تكذبي .. صحيح ؟

ـ لا أكذب .. إنها حقًا هنا بحوزتنا وبكامل عافيتها ..

ـ هل يمكنني أن أراها ؟

ـ أعتذر ...

ـ ماذا تريدون أن تعلموا ؟

ـ أين أماكن الإنتحاريين ؟

ـ أي انتحاريين ؟

ـ أنتَ لا تعلم مراحل عملية الأمس حقًا ؟

ـ أخبرتك .. لا أعلم فلم يخبروني بشئ لأنهم يعلمون أنني سأعترف بكل ما أعرفه ..

ـ تعلم انّ ابنتك بحوزتنا وإن كنت تكذب لن تراها مجددًا .. ومريم معنا أيضًا ..

ـ مريم خاصتي ؟

ـ نعم .. فقط أخبرنا بالحقيقة ...

ـ صدقي لا أعلم شئ .. كنتُ أتحرك خطوة بخطوة

ـ من التي ستدمر كل شئ إن علمت بوجود غفران ؟

ـ ستعلمي مع الوقت ..

ـ ماذا تقصد ..؟

ـ الأمر ليس له علاقة بالعملية ولكنه متعلق بتلك الليلة ..

تغيرت ملامح وجهي تمامًا .. أحقًا يقصد تلك الليلة خاصتي أنا وتميم ولكن ما علاقتها ؟ ، قبل أن اسأله أي شئ دخل سالم وقاطع التحقيق :

سالم : يوجد أمر عاجل ..

ـ ماذا حدث ؟

أشار لي بيده لأخرج ثم تبعته بقلق فسار بي الطريق للخارج وأثناء مشينا تحدث سالم :

ـ أُقتحمت المشفى التي بها عارف ويوجد اشتباك مسلح هناك بين الأمن والمقتحمين ..

ـ ألا نعلم من هم ؟

ـ لا ولكن أشكُ بوجود علاقة تربطهم بالعملية ..

ـ أين تميم ؟

ـ سبقنا فور علمه وترك التحقيق في المنتصف ..

خرجنا من القسم متوجهين للمشفى التي بها عارف ولم تكن ببعيدة فوصلنا في خلال دقائق ثم نزلنا عند البوابة ورأيتُ سيارة تميم فتأكدتُ أنه قد وصل ثم صعدتُ لمكان صوت الإطلاق الناري بهدوء ممسكة بسلاحي في أسفل أمامي وبقى سالم في الأسفل مع المرضي والأطباء وبعض المدنيين ، أثناء صعودي لمحتُ واحدًا يرتدي ملابس سوداء ويغطي وجهه بقناع ويمسك سلاحًا وينظر حوله فإختبأت كي لا يراني ثم اقترب فدفعت رأسه بسرعة بمرفقي فسقط سلاحه منه ثم اعطيته لكمة ومسكت ياقته وبعنف :

ـ من أرسلك ..؟

ـ أبيكِ ..

قالها ببرود وكأنه يتعمد جعلي أغضب ولكنه لا يعلم أنّ ذلك ليس في صالحه ، لكمته مرة أخرى فسقط أرضًا وهو يحاول إستيعاب أنّ لكمتي أسقطته وعندما حاول المقاومة ركلته بقدمي مرات متتالية حتى استفرغ دمًا :

ـ لن أقتلك كي تذهب وتخبره أنه لن يموت سوى على يدي وتلك العملية اللعينة لن تحدث ...

تركته خلفي بعد أن أخذت سلاحه وسرتُ مسرعة لأنني سمعتُ صوت الإطلاق الناري يزداد بشدة ولم أملك الوقت وركضتُ بشدة حتى أذهب لغرفة عارف وبهدوء اقتربت في ذاك الطابق فاندهشت عندما توقف الإطلاق الناري واقتربتُ ثم رأيتُ حوالي خمسة أفراد بنفس هيئة الأول يتحركون جهتي فاختبئتُ ثم رحلوا بهدوء تام وكأنهم كانوا في في رحلة مدرسية ثم أخبرتُ سالم في اللاسلكي أنهم قادمون إليه وتوجهتُ إلى غرفة عارف وأثناء تحركي سمعتُ صوت خطوات أقدام خافتة تأتي من الممر المجاور فتواريتُ ثم استعددتُ لأهدده بسلاحي وحينما التفتُ بخفة :

ـ لا تحاول الهرو... تميم ..!!!

ـ إذا كنتِ تريدي قتلي فافعلي ولكن لا ترفعي عليّ سلاح مرارًا ....

أخفضتُ سلاحي :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لا أعلم .. كنتُ أهاجمهم من أمام غرفة عارف ولم يستطيعوا الوصول إليه على الرغم من مقدرتهم وفجأة أوقفوا جميعهم إطلاق النار واختفوا ...

ـ رأيتهم أثناء الرحيل واعتقدت انهم آذوك ...

ـ لم يفعلوا شئ ..

ـ ماذا كان هدفهم إذًا ؟

ـ لا أعلم .. اذهبي لتحققي مع عارف وأنا بالأسفل سأرى سالم وأولئك ..

قالها ماشيًا بسرعة ليرحل ثم توجهتُ لغرفة عارف وفتحتُ الباب فكان نصف نائمًا وهو مستلقٍ على سرير المشفى ويتحدث بوهن :

ـ مرحبًا ..

ـ ألا تري حالتي تلك بسببكم ؟

ـ لم نؤذيك .. الرعب الذي زرعه داخلك جعلك تحاول الإنتحار ..

ـ لا تفهمين ذلك الأمر ..

ـ أريد الفهم ولكن لا أحد يعطيني تلك الفرصة ...

ـ لا تريدي الفهم .. أنتِ في جنة قد لا تفهميها ..

ـ أين الإنتحارين ؟ وما هيّ خطتكم البديلة ؟

ابتسم بغرور يعكس عجزه :

ـ الحقيقة ..

ـ لم أفهم ..

ـ خطتنا البديلة هيّ الحقيقة ..

ـ وما هيّ الحقيقة ؟

ـ الحقيقة شديدة المرارة ولا ترغبي في أن تعلميها مبكرًا ..

ـ بلى .. أرغب ... ما هيّ الحقيقة ..؟

ـ لن أخبرك ..

ـ حسنًا .. أين أماكن الإنتحاريين ؟ ..

ـ .....

ـ من هيّ التي سنبحث عنها ولن نجدها ؟

ـ تجمعين الكلمات وكأنك أنتِ وتميم واحدًا ....

ـ ألا تقلق منا عندما نعلم كل شئ ؟

ـ ستظل الحقيقة دائمًا ناقصة .. هناك مفقود .. ذكرى .. ليلة .. طفل ..

تلمس كلماته أجزاءً عميقة بداخلي وكأنه يلمّح لشئ أو أنني أردتُ فهم ذلك الأمر هكذا فحاولتُ تخطي ذلك الأمر :

ـ أتعلمين ما هيّ مشكلتك ..؟ .. شديدة الحنان في التحقيق على عكس الباقي .. أي أنّ مشكلتك أنكِ إمرأة .. قلبك لا يليق على تلك الأمور الصعبة وكثيرة الحركة والأكشن والقتال ..

ـ قلب المرأة التي تستهين بها وأحيانًا تستحقر ضعفها يليق على أي شئ .. يمكنني أن أفعل كل ما يمكن للرجال فعله فهو ليس بتلك الصعوبة .. القتل أو المغامرة .. يمكنني فعل كل ذلك ويمكنني أن أكون بتلك الرقة أيضًا ولكنك لا تستطيع أن تفعل أيًا مما تفعله أضعف امراة فبالنسبة لك سيكون ذلك معقدًا على الرغم

من أنه أرق من البساطة ولكن ولأنك تحتقر ضعف النساء لا تستطيع أن تكون على الأقل رجلًا ....

تغيرت ملامحه بغضب بارع في إخفؤه لأنّ إظهاره لن يفيد بشئ ففي النهاية هو طريح الفراش ، أهديته العديد من الأسئلة وهو بادلني ببعض المراوغة الخبيثة التي ظلّ عليها كثيرًا حتى أدركتُ تمامًا أنه لن يفيدني بأي شئ فأخبرني عقلي أن أعود للقسم وأتابع التحقيق مع عزيز لعله يعلم شئ فتركت عارف وخرجتُ كي أرى آخر ما وصل إليه سالم وتميم ونزلتُ للطابق السُفلي حتى قابلتُهما :

ـ ماذا فعلتم ؟

سالم : لم نستطع اللحاق بهم .. اختفوا وكأنهم لم يُوجدوا ..

ـ يوجد واحد مُصاب في الطابق خاصة عارف ...

تميم : هرب ..

سالم : سأخبرهم أن ينقلوا سالم لمشفى أخرى ويضاعفوا الحراسة ..

ـ لماذا سيأتوا ثم سيرحلوا بسلام ؟ ما هدفهم ؟ ...

تميم : لربما لم يكن هدفهم عارف ...

سالم : ماذا تقصد ..؟

تميم : لا شئ .. هل نعود ؟..

قررنا العودة للقسم ومتابعة التحقيق بعد الإنتظار قليلًا في المشفى والإطمئنان على سلامة الجميع ولفت انتباهنا حالة ولادة لأم وكانت شديدة السعادة وتشكر الطبيب بهستيرية غير طبيعية ثم أتت اتجاهي أنا وتميم :

الأم : أشكركم بشدة فكان لكم كبير الأدوار في حمايتنا ...

ـ لا بأس فلم نقم سوى بواجب..

الأم : الأمر لا يعتمد على واجبكم فقط .. بل على أم انتظرت طفلها لسنوات ...

ـ كيف لسنوات ؟

تحرك شيئًا ما في روحي عندما بدأت الحديث عن معاناتها مع الحمل وأنها مرّت بالكثير بسبب حادثة سير أضاعت عليها فرصة الأمومة لسنوات فكانت أم مكلومة مثلي ...!

كانت سنيني تدور عندما أخبرتني عن نهاية رحلتها كأم دون أبناء بالفوز بطفلة وبصحة جيدة بسبب توافر أساليب الإهتمام بذلك الأمر ثم اختتمت كلامها وهيّ تسحب كفّي وتمسكه بحنان :

ـ ليرزقك الله سعادة مثلي ....

ثم رحلت على بكاء رضيعها لتسكته وأنا أقف متجمدة أُحاول إستيعاب ما يحدث .. هل أعطاني القدر فرصة الأمومة مجددًا ؟ هل كان لطيفًا بي إلى تلك الدرجة ؟ ، سبقت كلماتي عيناي وركضتُ دموعُ على وجنتيّ ثم نظرت خلفي لأرى تميم ينظر لي بإبتسامة جميل وقال بسخرية :

ـ لماذا لم تشكرني أيضًا ..؟

ـ ربما لم تراك ....

ـ الساعة اثنان ليلًا .. هل ننهي الليلة ؟

ـ ليس بعد ...

أتى لنا سالم بعد أن ذهب ليطمئن على الجميع ثم ضاعف الحُراس وخرجنا لنعود للقسم وبعد دقائق انقلبت علينا الحياة مجددًا .. دُوهم القسم وكأنه كان يجرى اشتباك مسلح شديد لم ينجو منه أحد ..!

أثناء اندهاشنا حاولنا إخراج أسلحتنا للإستعداد لربما لم تنتهي الحرب بعد ثم دخلنا للقسم بهدوء وقلبي يأكلني على نور وزملائي وبهدوء بدأ ادراكنا بمصداقتنا بأمر أنّ الإشتباك انتهى ثم وقفت في المنتصف بين صديقيّ الذين كادوا أن يموتوا وكنتُ شديدة الخوف على نور فأخبرتهم أن يروها وأنا طلبت الإسعاف لإنقاذ ما تبقى من زملائي و داخلي يحترق بغضب يتغلف بحزن قد ينهي كل شئ ثم نهضت لأرى اي شئ واتى لي تميم :

ـ نور ليست هنا ...

سالم : الأشقر كذلك .. وعزيز مصاب ...

ذهبت راكضة لعزيز فكان يلهث أنفاسه بصعوبة فحاولت جعله يعود لوعيه :

ـ عزيز .. أرجوك استيقظ .. عزيز ..

فتح عينيه ثم نظر إليّ بعجز :

ـ ما الذي حدث ؟

ـ حاولت إيقافهم..

ـ ما الذي حدث ؟

ـ أخذوا نور وأبي وغفران ...

ـ أنقذي غفران .. لا تتركيها ..

ـ سأفعل ..

ـ ليست ابنتنا..

ـ ماذا ..؟

ـ غفران ليست ابنتي ...

فقد وعيه بل حياته وتوقف عن التنفس وجلست انا بجانبه ببكاء وكأنّ الحياة تلعب بي فتارةً تجعلني أطير وتارةً تسقطني أرضًا بقوة ، أتى من داخل ذلك الصوت الذي ينقذني من الإستسلام :

ـ رحيل .. لم تنتهي الحرب بعد ولا وقت للضعف أو البكاء .. لا أحد سيأتي لينقذك .. انهضي وامسحي دموعك وحاربي فربما ستحاربين للمرة الأخيرة .. لربما النهاية اقتربت .. لم تقاتلي كل تلك المدة لتسقطي الآن بذلك الضعف .. يريدك ضعيفة باكية لا تقدري على المقاومة ولكنك لستِ كذلك .. لا تعطيه ما يريد .. انتقمي

لتلك الدمعة التي أخرجتيها بسبب أفعاله .. إنه الجاني وأنتِ من يجب عليكِ معاقبته .. لن يقوم بواجبك أحد غيرك .. انهضى واستجمعي قوتك التي هُدرت في البكاء .. أنتِ قوية ولستِ مثلهم .. أنتِ أقواهم .. انهضي. رحيل .. انهضي. كي تقتليه فالأمر لن يصعب عليكِ .. ليس أول جاني ولكنه أكبرهم .. الجاني الأكبر بحق القانون وبحق حياة زملائك وبحق حياة والديكِ .. انهضي. لتنفذي مهمتك .. اغضبي ..

نهضتُ بصعوبة وتنفست بعُمق ثم خرجت فقابلتُ تميم :

ـ أين سالم ..؟

ـ ذهب ليرى تسجيلات المراقبة وأشكال السيارات وطريقهم وأنا أسعف مَن يحتاج للمساعدة ...

ـ اهتم بعائلات المصابين ...

قلتها وأنا أخرج من القسم فأوقفني :

ـ إلى أين تذهبين ؟

ـ لأعيد بعض الأمور لمجراها ..

ـ لا اريد أن أخسرك ..

ـ لن تفعل .. سأعود وبكامل صحتي ..

خرجتُ متجاهلة كل ما خلفي لأنني لا أستطيع أن أرى زملائي وهو ينازعون الحياة ولا أقدر على رؤية بكاء العائلات وليس لديّ وقت لمواستهم فيوجد آلاف قد يتبعونهم إن لم الحق ، ذهبتُ إلى منزلي أنا ودخلت والغضب يعتريني وتوجهتُ إلى البراد وأخرجتُ كوبًا من الماء المثلج ثم وضعتُ داخلة كل ما استطعت من الفلفل الأحمر الحار ثم تنفست بعمق وشربته بأكمله لتغزو النيران داخلي وتلك لن تنطفئ دون بإنتهاء ذلك الهراء الذي يحدث ، ذهبت لغرفة التدريب خاصتي وارتديتُ أقفاز الملاكمة ثم توجهتُ لكيس الملاكمة وثم مسكته بيدي و أسندت رأسي عليه وكأني أعتذر له عن ما سيحدث ثم ابتعدت عنه وتنهدت بغضب ثم استعددتُ في وضعية الهجوم وبدأتُ بتسديد الكثير من اللكمات بغضب لم تعهده روحي من قبل ثم توقفتُ للتنفس وعُدت أتخيل وجه ذلك القاتل ويزداد الغضب داخلي حتى يطغى على كل المشاعر الأخرى وأعود لأصب جزءًا من غضبي على كيس الملاكمة فلا يجب إخراج غضبي بكامله حتى أتمكن من العمل فالقليل يكفي ...

انتهيتُ من اخراج غضبي ثم اتجهتُ لغرفتي لأغتسل واستبدل ملابسي. وارتديتُ بنطالًا من الجلد الأسود و واقٍ من الرصاص ثم سترة سوداء كي تكون كأيامهم القادمة ونظرتُ للساعة فكانت السابعة صباحًا ورأيتُ الكثير من المكالمات الفائتة من سالم وتميم ومالِك والكثير من أهالي زملائي ولكن تجاهلتُ كل شئ ونزلتُ للأسفل لأحضّر قهوتي ثم حادثني تميم مرة أخرى فأجبته :

- أين أنتِ ؟ هل أنتِ بخير ؟ لماذا لم تجيبي ؟..

- أنا بخير تمامًا .. أقابلك بعد نصف ساعة في منزل مالِك وأحضر عارف ...

- عارف ليس بخير ...

ـ كيف ..؟

ـ أمس .. ذهبتُ وصببتُ غضبي عليه ..

ـ لا بأس .. هل هو في حالة تسمح له بالعلاج في منزل مالِك ..؟

ـ نعم .. حسنًا أحضره ....

أغلقتُ الخط وأخبرت سالم أيضًا ليأتي وتوجهتُ أنا لمنزل مالِك واول ما رآني :

ـ عزيزتي .. هل أنتِ بخير ؟ لماذا لم تجيبي على اتصالاتي ؟ ...

ـ أنا بخير ... أين مريم ..؟

ـ بالأعلى ... لا تقلقي سنعيد نور ..

ـ لستُ بقلقة وأعلم أننا سنعيد نور ....

صعدتُ لها وأنا أحاول إلتقاط أنفاسي لأستعد نفسيًا لإخبارها بوفاة عزيز فأطرقتُ الباب بهدوء ودخلتُ عندما سمحت لي وكانت جالسة على السرير بملامح شاردة :

ـ صباح الخير ..

ـ صباح الخير .. هل حدث شئ ؟

ـ نعم ..

ـ ماذا حدث ؟ هل اكتشفتم شئ ؟

صمتتُ قليلًا ثم أمسكتُ بيدها :

ـ عزيز .. قُتل فجر اليوم ...

بدأت ملامحها بالتغير ثم بدأت عيناها بالترغرغ وسألتني :

ـ كيف قُتل ؟ مَن الذي قتله ؟

زاد بكاءها بهستيرية لم أتوقعها ثم احتضنتها :

ـ لا تقلقي .. سأنتقم له .. سنعلم مكانهم وسنقوم بتجهيز فخًا لهم في مكان لن يتوقعوه ... سنقتلهم جميعًا اليوم ...

نهضتُ من جانبها بعد مواستها قليلًا وخرجتُ لأرى أنّ تميم وسالم قد وصلا ومعهم عارف في سيارة الإسعاف وقاموا بتوصيله للغرفة المجاورة لمريم وجعلوه يستيقظ وارتبك عندما رآني :

عارف : لماذا تم نقلي من المشفى ؟

سالم : كي نقتلك بهدوء وبسهولة وببطء ...

عارف : ما تفعلوه ليس قانونيًا ..

تميم : اوووووه .. للأسف محاميتنا ليست هنا كي تخبرنا بما ليس قانوني ....

ـ شديدة الحنان في التحقيق على عكس الباقي ...

ابتسمتُ بسخرية ثم اقتربت من وجهه بشدة :

ـ لم ترى حناني بعد .. للمرة الأخيرة سأسال بهدوء .. أين طارق ؟

عارف : من أين أعلم ؟ أليس أباكِ ؟ ..

ـ ابدأوا ولا تتوقفوا حتى ينطق ...

خرجتُ أنا من الغرفة وبعد دقائق قليلة تعالى صوت صراخ عالٍ ثم خرجت مريم فزعةً :

ـ من الذي يصرخ ؟

ـ عارف ..

ـ عارف أخو عزيز ..

بدأت مشاعرها بالإضطراب وتوترت بشدة :

ـ لنشرب قهوة في الأسفل ...

تابعتني كي تبتعد عن الصوت وعندما نزلنا وصنعت القهوة كانت ترتجف ثم قالت :

ـ أريد هاتفي ..

ـ لا يجوز كي لا يعلموا مكانك .. لماذا تريديه ..؟

ـ سأتحدث مع أمي كي لا تقلق ....

ـ حسنًا .. يمكنك التحدث من هاتف مالِك ...

تناولت الهاتف الذي أحضرته لها وذهبت للشرفة لتتحدث ومن ثم أتى مالِك لي بسرعة وقال بصوتٍ عالٍ :

ـ أخبرنا عارف بطرف الخيط ..

صعدت لأعلى بسرعة ثم دخلت لعارف فكان خائفًا وعلامات الإستفهام على وجهه :

عارف : أنتم لم تقوموا بإيذائي ..!

تميم : ولكن ما رأيكم بصراخي ؟

ـ مزعج وعالٍ بشكل لا يُوصف ....

عارف : لا أفهم شيئًا ..

ـ ليس من الضروري أن تفهم ولكن أعتقد أنك ستُقتل لخيانة لم تفعلها فقط لتعلم أنّ مَن تحميهم لن يبادلوك بالمثل ...

سالم : حان الوقت ...

ـ وداعًا من الحياة ...

سرتُ خارجةَ من الغرفة وخلفي البقية ولم يوقفني صراخ عارف فهو مَن اختار مصيره بيديه ثم ذهبتُ لمريم وكنتُ أملك ملامح قاسية وأخبرتها بجدية :

ـ هيّا ..

مريم : إلى أين ..؟ .. لن أخرج من هنا ..

ـ أحضروها ..

توجه لها سالم وسحبها من يديها فقاومته بشدة وبغضب :

مريم : لا يمكنكم إخراجي بذلك الشكل ..

نظرتُ لها ببرود ثم أخرجتُ سلاحي ورفعته على وجهها :

ـ ما رأيك بالخروج بذلك الشكل ..؟

مريم : لا يمكنك قتلي ..

قمتُ بشد أجزاء سلاحي وأطلقت خلفها :

ـ هل تريدي التجربة ..؟

سارت بهدوء مغصوبة عليه وخرجنا من الباب الخلفي وابتعدنا سيرًا عن البيت وانتظرنا وبعد دقائق أتت العديد من السيارات ونزل منها الكثير من الرجال المسلحين وبدأوا بإطلاق النار :

تميم : هل نبدأ ..؟

- الآن .. سالم ابقى معها ...

اقتربنا بهدوء من الخلف وبعد إتخاذ وضعياتنا جيدًا خلف أحد الجدران وقبل أن نطلق النيران :

- تميم .. أريدك حيًا حتى تنتهي القضية ..

- سأكون حيًا حتى أطمئن على نور ...

تنفستُ ثم حددتُ أهدافي وبدأت بإطلاق النار وتميم يجاورني وعندما اطلقت على النصف اكتفيتُ من لعب الأطفال ذلك وخرجتُ من مخبأي و قمتُ بإطلاق النار على كل مَن يمسك سلاحًا ولم يوقفني نداء تميم بخطورة السير في المنتصف ثم استمررتُ في إطلاق النار حتى اقتربتُ منهم وغالبًا لم يتبقى سوى إثنان وأصبحوا واحدًا عندما قتل تميم الآخر واقتربت منه ونظر لي بتوتر عندما انتهت منه الذخيرة وحاول الركض اتجاه سيارته وعندما كاد يصل ابتعدت عدة خطوات للخلف واطلقتُ النار على السيارة حتى انفجرت وسقط هو أرضًا بقوة من شدة الإنفجار فذهبت اتجاهه بعد أن هدأت النيران فكان طريحًا للأرض وعاجزًا عن التحرك فانخفضتُ لمستواه :

- أستخبرني من أين جئت ؟ ومن أمرك بالمجئ ؟ .. أم أعرف بأسلوب آخر ...

- لا أعلم شئ .. تحدث أحدهم مع زعيمنا منذُ دقائق وأخبره أنه يجب أن نقتل كل مَن في هذا المنزل ماعدا واحدة ..

- مَن هو زعيمك ؟

حاول النهوض وسار بصعوبة حتى وصل إلى جثة أحد و أشار عليه بيده :

ـ هذا هو الزعيم ..

اقترب منه تميم وقام بتفتيشه حتى حصل على هاتفه وأعطاه لي فأمسكته وبدأت في رؤية سجل المكالمات وتحدثتُ مع نفس الرقم وأخبرت ذلك الرجل بما عليه التحدث معه حتى أجاب فتأكدتُ أنه الأشقر عندما سمعتُ صوته فتحدث معه الرجل :

ـ قتلنا كل مَن بالمنزل ماعدا الفتاة التي أخبرتنا أن لا نقتلها ..

ـ هل أنتَ متأكد ؟ .. مَن أنت ؟

ـ زعيمنا مات فحاولوا أن يقاوموا كثيرًا وقد مات هو والكثير ..

ـ حسنًا .. أحضر ابنتي ..

ـ ابنتك !

ـ الفتاة التي لم تقتلها .. سأرسل لكَ العنوان ...

ـ حسنًا سيدي ....

أغلق الهاتف ونظر إليّ بتوتر مجددًا :

ـ هل سأموت ؟

ـ إن فعلت ما يغضبني .. اذهب لأقرب مركز شرطة ...

عُدنا للمنزل بسرعة وصعدنا لعارف لنرى إن كان حيًا أم مات وعندما رأيناه كان يجلس أسفل الطاولة بصعوبة وينتفض من الخوف :

ـ حسنًا .. ماتوا جميعهم .. يمكنك الخروج ..

عارف : كيف ..؟ .. كيف يحاولوا قتلي ؟ ..

ـ شقيقتك مريم في الأسفل ..

تصبب الرعب في ملامحه :

عارف : إن أُصيبت بأذى فأقسم...

تميم : إن لم تصب نور بأذى لن نضطر على تعذيب شقيقتك الجميلة ...

ـ لا داعٍ لأن تقسم .. هل ستخبرني الآن أم ...؟

عارف : ماذا تريدون أن تعرفوا ..؟

ـ معلومات عن أماكن الإنتحاريين وأشكال القنابل وخططكم البديلة ..

عارف : بما أنكم علمتم عائلات الانتحاريين فلا بدّ أن أبي قد غيّرهم ... مقرنا يوجد في ميدان المنشية في بور سعيد ..

تميم : تعلم أنك إن كنت تكذب لن تكون مريم على قيد الحياة ...

عارف : يمكنكم الذهاب ولكني حقًا لا أعلم إن قاموا بتغيير المكان ...

قام تميم بربطه جيدًا ثم ذهبنا لسالم ومالِك وأخبرناهم عما حدث وكانت مريم جالسة في السيارة مقفل عليها :

سالم : المكان الذي يجب علينا إحضار مريم إليه مختلف عن ذلك .. ماذا إن كان يكذب ؟ ..

ـ الأشقر لن يحضر ابنته في مقر تنفيذ العملية ..

تميم : ولكنه لن يتركها بعيدة عنه وإن ترك معها آلاف الحُراس ...

ـ سنذهب أنا وتميم لمكان توصيل مريم .. سالم و مالِك لبور سعيد .. سالم قُم بالتحدث مع أحد زملاءنا كي يأتي هنا .. حسنًا ؟ ..

وافق الجميع على اقتراحي وتوجهتُ مع تميم إلى السيارة ومريم معنا بعد أن أعطاها مالِك حقنة منومة كي لا تثير ضجة وتوليتُ أنا القيادة وكان كلانا ننظر للطريق بفراغ قاتل أوشك أن ينهينا حتى تحدثتُ :

ـ هل أنتَ بخير ؟..

ـ هل تعي العبث الذي غرقنا فيه ؟

ـ لا أعي ولا أريد أن أفعل .. الوعي يجلب الألم .. ادّعي الغباء لتنال الراحة ..

ـ هل سنصل للنهاية ..؟

ـ فقط آمن أنّ كل شئ سيصبح على أفضل ما يُرام

ـ لننهي ذلك العبث ...

ـ لننهيهم ...

مرّ حوالي عشرون دقيقة وأنا أقود حتى كدنا نصل وقبل أن نفعل تم إرسال لنا إحصائيات المكان وبشهادة بعض الجيران وجدنا أنّه تم إيصال نور لذلك المكان توقفنا حتى نرى الإحصائيات ونعد خطة سريعة للدخول فكان مبنى كبير بجانبه العديد من المنازل في منطقة معزولة وقريبة من مطار القاهرة ومن ثم رَست أفكارنا على دخول تميم من الأمام ولفت الأنظار له بالتهديد بمريم بعد أن نوقظها ودخولي أنا من الخلف ومحاولة العثور على نور وأماكن الإنتحاريين وعندما نتأكد من معلوماتنا نستدعي الدعم ليتم إخراجنا والقبض على الأشقر و العميد ، قُدت السيارة حتى اقتربنا بشدة ثم بدأ تميم بمحاولاته لإيقاظ مريم واستيقظت أخيرًا وجعلها تترجل عندما وصلنا وقبل أن يذهب ألقى عليّ نظرة وعاد لي :

ـ رحيل .. يوجد أمر شديد الأهمية سأخبرك به بعد تلك العملية ويجب أن تعلميه ولذلك حاربي كي نصل للحظة التي سأخبرك فيها .. حسنًا ؟

ـ حسنًا ..

ـ لا ترأفي به .. هو الجاني الأول والمخطئ .. كلما رقّ قلبك له تذكري أفعاله ..

ـ لن ارأف به .. سأقتله ..

ـ إلى اللقاء بعد قليل ..

ـ إلى اللقاء بعد قليل ..

رأيته يرحل عني ولم أطمئن ولكن داخلي يردد بأنه سيعود وسيصبح بخير ، ركبتُ السيارة واستدرتُ حول المبنى لأدخل من الخلف ومازال الحار يعثو النيران بداخلي وترجلتُ بهدوء وأخرجتُ سلاحي وتنفستُ بعُمق وعُدت لغضبي مرة أخرى و سرتُ بخطوات حتى رأيتُ الباب الخلفي يقف عليه أربعة من الحُراس فاخرجت سلاحي ذو الصوت المكتوم وأطلقتُ النار على اثنان ثم إختبأتُ بسرعة واقترب كلًا منهما في جهة فانخفضتُ بجسدي وخرجتُ لأحدهم زاحفة بسرعة واطلقتُ على قدمه فسقط صارخًا ثم وقفتُ واهديته طلقة في صدره فمات وأتى الآخر من خلفي :

ـ ألقي سلاحك أرضًا ..

وضعت سلاحي أرضًا والتففتُ بهدوء ونظرت له فرفع حاجبيه بدهشة :

ـ ابنة...

قبل أن يكملها دفعت سلاحه أرضًا ولكمته في وجهه وقمتُ بثني مرفق يده للخلف فانكسر ثم سقط أرضًا والتقطتُ سلاحي من الأرض واطلقت عليه وركضت لأدخل المبنى وقابلتُ ثلاثة أخرون فكان مصيرهم مثل مَن سبقوهم ورأيتُ السُلم لأعلى فتفحصتُ المكان في الأسفل قبل أن أصعد فسرتُ قليلًا حتى وجدتُ الكثير من الحُراس ينزلون من الأعلى فاختبأتُ ورأيتهم يتوجهون للبوابة الرئيسية وخلفهم الأشقر فحاولتُ التحكم بغضبي حتى خرج قلقًا للخارج وما بدا لي أنّ تميم يقوم بالتمثيل على أكمل وجه ولكن تخلل لروحي القلق عليه من الكم الهائل لأولئك الحراس ولكني تجاهلتُ الأمر وصعدتُ للطابق الأول فلم يتواجد أحد وصعدتُ للذي يليه فكان مظلمًا بشدة فكتمتُ أنفاسي حتى أشعر بحركة

الهواء وإن كان أحد يتحرك حولي ولم أشعر بتواجد أحد فأخرجتُ هاتفي لأنير به ضوء خافت فوجدتُ رسالة نصية من رقم مجهول :

" كل شئ في ٤ كثر حُراس سُلم الهروب ٢ كاميرات "

نظرتُ بإستغراب ولم أفهم في البداية ما تضمنه ولكني تذكرتُ سابقًا لعبتي أنا ونور عندما تقول كلامًا غير مفهوم ويجب علىّ فهمه فاستغرقت دقيقتان حتى افهم مضمون الرسالة :

" كل شئ في الطابق الرابع ويوجد الكثير من الحُراس واغلقي سلم الهروب في الطابق الثاني ويوجد كاميرات في كل مكان "

بدأتُ بتنفيذ ما في الرسالة بعد إيقاني أنه ليس فخًا فلا أحد يعرف تلك اللعبة سواي أنا ونور ، أغلقتُ سُلم النجدة الموجود بغرفة صغيرة كي لا يتمكن أحد من الهرب منه وثم عُدت للسلم الكبير لأصعد للطابق الثالث ولم أجد أحد أيضًا فتذكرتُ أنّ أكثر من عشرة حراس ساروا مع الأشقر لمقابلة تميم في الأسفل فصعدتُ بهدوء للطابق الذي يليه فرأيتُ أربعة حراس يقفون على باب فكان لا مفر من إحداث ضجة فاطلقت النار على واحد منهم في غفلة ولم أختبئ فخرجت لأواجههم فدفعت واحدًا برفقي وانخفضت لأتفادى ضربة من آخر واستخدمتُ قدميّ لأجعل أحدهم يسقط أرضًا وكل ما كنت أخشاه أثناء ذلك القتال هو نفاذ الوقت مني وسناح فرصة الهروب لطارق فحاولت الإسراع بقدر ما أستطيع ولكن البادي أنّه قام بإستئجار خبراء في مهارات القتال فلم استطع التملص منهم بأي شكل حتى كدتُ أن أفقد قوتي ولكني لم أفعل حتى تخلصت منهم ثم دخلتُ من باب ذلك الطابق فوجدتُ نور مكبلة وتنام أرضًا فركضتُ إليها ثم جثوت على ركبتيّ و وضعتُ ثلاثة أصابع على عنقها يمين الغدة الدرقية فأحسستُ النبض وكان

طبيعيًا فتنهدتُ بشدة ثم نهضت أتفقد أرجاء المكان فلم أجد شئ حتى رنّ هاتفي برقم كان مألوفًا فأجبتُ :

ـ هل أنتِ سعيدة الآن ؟

أغلقتُ شفري عيناي وفتحتهما مجددًا بغضب :

ـ حصلتِ على صديقتك العزيزة ولكن هل فقدتِ شئ آخر ؟

ـ لا تحاول تمويهي فلم أفقد أي شئ ..

ـ برأيي لا تكوني واثقة كثيرًا ..

شعرتُ بقلق طفيف يحتل روحي ثم أغلقتُ الهاتف وركضتُ لأرى تميم وكأني سأعيد الماضي وكل تلك اللحظات ولم نكن سننتهي فلم اجد شئ بالردهة فهربت من عيناي دَمعة رغمًا عني و زاد ضعفي حتى جثوتٌ ببكاء على ركبتيّ ولم تعد الذكريات كافية لتربتُ على ظهري بحُنو فانتهى كل شئ وأنا انتهيتُ معه فيكفيني ذلك القدر ...

ظللتُ دقائق أرضًا أرفض إستيعاب أن الحرب لم تنتهي بعد ثم اتى لي سالم و مالِك بركض وقلق وسألني سالم عن نور فأخبرته أنها بخير وصعد لها ثم جلس مالِك بجانبي والدموع في عينيه :

ـ لا تبكي ...

ـ لماذا تبكي أنت ؟

- لأنك تبكين ..

- أتعلم أنك ستموت من حبك يومًا مثلنا ..؟

- لن أموت لأنّ ذلك الحب لي وحدي ولا يجعل مني ضعيفًا ..

- ولذلك تبكي الآن ..

- سيكون كل شئ على ما يُرام ..

- لن يكون .. مللتُ التأمل من شئ لن يحدث .. أبي البيولوجي حيّ وهو قاتل أبي وأمي وتميم بحوزته اليوم .. لا ذنب له أنه أحب امرأة والدها قاتل ولا ذنب لكم كي تكون حياتكم بخطر دائمًا أيضًا ..

- ولا ذنب لكِ أيضًا ..

- ارحل .. لا أريد أذيتك ..

- لن تؤذيني ..

- قربك مني سيؤذيك وأنتَ نقي ولا يمكن أن تُسحق ظالمًا فقط لأنك أحببتني ..

- ارضى بكل ما سيحل يومًا بي ولكن عنادًا بكل شئ سأكون بجانبك دائمًا ولن أرحل حتى وإن طلبتِ .. لن أتركك ..

- لا أعتقد أنني سأتحمل خسارته أيضًا ..

- لن تخسري تميم .. سنعيده وسيكون بخير ..

ـ ألا تتألم عندما تتحدث عنه ؟

ـ رؤيتك هكذا تؤلمني أكثر منه وإن كانت سعادتك تكمن بالقرب منه سنعيده وستكونوا معًا مجددًا ..

ـ لا أريد أن نعود .. أريده بخير فقط ..

ـ حسنًا .. سيكون بخير ..

ـ أتعدني ..؟

ـ أعدك .. سيصبح كل شئ على ما يُرام ..

ـ أتعدني بشئ آخر ؟

ـ أعدك بأي شئ ..

ـ ستكفّ عن حبي لأنني لا أريد أن يغرق أحدهم مثلما فعلت ..

ـ لن أغرق ..

ـ بلى .. أنتَ تغرق الآن بإرادتك ثم ستلعن نفسك لاحقًا لأنك فعلت ذلك ..

ـ لم تنتهي الحرب بعد .. هل ننهض لنعيده ؟

نهضنا معًا ثم رأيتُ نور وسالم يأتون من خلفي فركضت لي نور واحتضنتني :

ـ هل أنتِ بخير ..؟

ـ نعم ..

ـ لماذا تبكين ..؟

ـ أخوكِ بحوزتهم ...

نظرت لي وكانت ستبكي ولكنها لم تفعل لأنها رأتني بتلك الحالة فلا يجب أن ننهار كلتانا فتابعت كلامها بثقة لامنتهية :

نور : سنفعل ما بوسعنا وسنعيده ولن نتركهم ...

سالم : ما الذي حدث ..؟

أخبرته بكل ما حدث معي وعن إنعدام علمي بكيفية هروبه وإختفاء الجميع :

مالِك : نور .. ما الذي حدث معك ؟

نور : كنتُ مرتدية معصم العينين وفاقدة للوعي معظم الوقت حتى استيقظتُ قبل ساعة و بدأتُ بالرفس والصراخ حتى نزع عني معصم عيناي ورأيتُ كاميرات المراقبة في الغرفة وبعد قليل من المحادثات السخيفة معه رأيتُ تميم في الكاميرات ومعه مريم و رآهم طارق و غضب بشدة ثم رأيت رحيل في إحدى الكاميرات وظللتُ أتحدث بصراخ معه كي ألهيه ولا يراها حتى قمتُ بفك حبال يدي بسكينة لم ينتبه لها ثم خرج وأخذتُ هاتفه وأرسلتُ لكِ الرسالة ثم مسحتها وتركت هاتفه ودخل هو ورآكِ في جهاز المراقبة وأتى لي قائلًا بغضب : لن تفلحوا في إيقاف أي شئ .. ثم دفعني فاصطدمت رأسي بالأرض وفقدت وعيي وأعتقد أنه كبلني مرة أخرى ..

مالِك : ألم تري غفران أبدًا ؟

نور : للأسف لا ..

ـ بما أنهم أخذوا تميم فبالتأكيد هو مُصاب ولن يقوموا بعلاجه ..

سالم : تميم تحمل الكثير ولن يعجزه ذلك ..

ـ لأنه تحمل كثيرًا سيعجزه ذلك ..

نور : رحيل ما دهاكِ ؟ .. ليس الوقت أو المكان للإنهيار .. ألم تكن أمامك مئات الفرص لتنالي الراحة من قبل ولكنك لم تستغليها ولذلك لن تستلمي الآن .. تميم بحوزتهم .. أخي وزوجك بحوزتهم .. إن لم تستجمعي روحك الآن .. لن تسنح لكِ الفرصة أبدًا كي تستجمعيها .. لن تتوقفِ حتى ينال الجميع ما يستحقوا .. طارق قتل والدنا وأمك وأصدقائنا ودمر حياة الكثير .. ألا تفكري بعائلات من ماتوا أمامي أمس ؟ .. ألا تفكري أنه يوجد أم فقدت ابنها واولاد فقدوا آباهم و امرأة فقدت رجلها ؟ .. ألا يجعلك ذلك غاضبة ؟ .. ألا يغلي ذلك دمائك ؟ .. سيموت الكثيرون إن انهرتِ الآن .. لا تملكِ رفاهية الإنهيار .. بدأتِ تلك القضية منذُ شهور والآن ستضعي حد لذلك الأمر كي لا يموت أحد .. لا عليكِ بالضعف .. عليكِ فقط بالغضب .. اغضبي فلا حار سيحرق روحك مثل الغضب .. احرقيهم جميعًا وإياكِ والرأفة .. لتكوني رحيلهم جميعًا ..

سالم : لم نتحمل كل ذلك لنسلم الآن .. لنحارب لآخر مرة ..

مالِك : لآخر مرة ..

ـ لنحارب حتى ينتهي الأمر وإن اضطررنا لنحارب لألف مرة ..

سالم : تحدثتُ إلى صديقي في بور سعيد وهو يحقق في الأمر هناك .. جاري رؤية كاميرات المراقبة في الطريق قبل أن يتم حذفهم ...

ـ كيف جئتم ؟

مالِك : تحدث تميم معنا وترك الهاتف مفتوحًا حتى أُصيب وتم إغلاق الهاتف ..

سالم : لنصعد لنرى الدلائل في المبنى والدعم في طريقه إلى هنا ..

وافقتُ على كلامه وصعدنا لنرى الدلائل وبحث الجميع بالطوابق الأولى وصعدتُ أنا للطابق الثالث وبدأت بالبحث بهدوء ولم أجد شئ في أجهزة المراقبة فتم حذف كل السِجلات وحينما لم أجد شئ جلستُ على أريكة قابلتني ليدركني التعب الشديد وأغفو رغمًا عني ثم استيقظتُ على صراخ فرِح :

نور : هذا خطها أعلمه ...

ـ خط مَن ؟

التفت ثلاثتهم لي بأسف وفرك سالم عينيه :

سالم : حاولنا بقدر الإمكان ألا نوقظك ولكنها نور ..

ـ كم نمتُ ..؟

مالِك : ثلاث ساعات ..

ـ ماذا ؟ .. كيف ؟ .. لماذا تركتوني ؟ ..

سالم : لم نجد شئ بعد فلماذا سنوقظك ..؟

نور بإبتسامة بلهاء : بلى .. وجدنا ..

قالتها مشيرة بإصبعها على الأرض فنهضتُ لأرى ذاك الدليل فرأيتُ خربشة على الأرض وكأنها كتابة ليست مفهومة وحاولتُ ترجمتها فلم أستطع :

نور : هذا خط غفران .. كنتُ أجلس معها بالقسم ونلعب ونكتب ونرسم ومكتوب هنا " بيت أمي " ..

مالِك : لماذا سنثق بكلام طفلة ..؟

نور : أخبرتها أن تترك اي دليل وراءها إن تعرضت لخطر أو كانت خائفة أو شئ من هذا القبيل .. هل سنذهب لبيت مريم الآن ..؟

سالم : مريم ليست والدة غفران ..

نور : كيف ؟ ..

ـ مريم شقيقة عزيز وعارف وابنة الأشقر .. عزيز أخبرني قبل موته أنها ليست ابنته او ابنتها واخبرني أن أعتني بها ..

مالِك : سنبحث عنها إن لم نجد دلائل ..

نور : سنبحث عنها حتى نجد الدلائل فلا نريد إهدار الوقت ..

ـ ألم تجدوا شئ في المبنى بأكمله ..؟

سالم : لم نجد .. من سيذهب للقسم لإحضار ملف غفران لنرى في أي مشفى وُلِدت ؟

مالِك : سأذهب أنا وسأحضر الطعام أيضًا وأنتم اذهبوا للمنزل ...

ـ لا نملك الوقت .. سآتي معك وسنذهب من القسم للمشفى ..

سالم : رحيل .. يجب عليكِ تناول الطعام كي لا تفقدي الطاقة .. ليس لديك شهية ولكنك مرهقة ..

ـ سأتناول أي شئ في الطريق .. ألا يوجد أي جديد عن مقرّهم في بور سعيد ؟ ..

سالم : مازال يتم البحث وتذكري أنهم يعملون بسرية ...

خرجنا من ذلك المبنى وعُدتُ لسيارتي التي تبعد عن المبنى قليلًا ونظرتُ إلى جهة ابتعاد تميم عني في آخر مرة وهو يتحدث عن لقائنا الذي كان سيحدث بعد قليل ولكنّ القدر لم يسمح به .. ما الأمر شديد الأهمية الذي كان من المفترض أن أعلمه ؟ ، قاطع نظري للفراغ صوت مالِك :

ـ أعتقد أنكِ مجهدة قليلًا ولذلك أنا سأقود ..

ركبت السيارة و رغبتُ فقط بالنوم ليس لأنني أريد بل كي اهرب من ذلك الزحام وأتمنى بداخلي لو أفتح عيناي ويكون كل شئ انتهى والأمور بأكملها بخير ، استيقظتُ على صوت مالِك وهو يعطيني بعض طعام الوجبات السر.يعة كي أكتسب طاقة وأنا أتناول رغمًا عني وكأني جثة هامدة وبتُ بلا روح وأثناء تناولي

.. أحضر مالِك الملف من القسم ولم أرافقه لأنني خشيتُ مواجهة أحد من أهالي أصدقائي كي لا افقد السيطرة على نفسي حتى عاد لي وكنتُ قد انتهيتُ من تناول الطعام حتى فتح الملف وقرأ الكثير حتى :

ـ وُلدت في مشفى (.....) في 13 أكتوبر عام 2014 و...

ـ أتمزح ؟

تآكلت روحي من الداخل عند سماع التاريخ ومكان الولادة فالقدر لم يكفيه كل ذلك الهراء الذي يحدث في حياتي فيقرر فجأة أن يُوجد ذكرى مؤلمة من الماضي وكأنّ أحزاني لا تكفي .. :

ـ لا أمزح ..

قالها بإستغراب شديد فتناولتُ منه الملف مسرعة وقرأت بكل حواسي وقد كان مح..... محقًا ..!

وُلدت غفران في مشفى ابنى المتوفي وفي تلك الليلة أيضًا .. هل تلك صدفة أم لعبة دنيئة من القدر مجددًا ؟ .. سرح بي الماضي عن قول عزيز لي قبل موته " الأمر ليس له علاقة بالعملية ولكنه متعلق بتلك الليلة " أكان يقصدها ؟ :

ـ مالِك .. اذهب بنا لتلك المشفى بأسرع ما يمكنك ..

شغل محرك السيارة وتحرك مسرعًا وأنا يمر الوقت على قلبي كالصخر ولا أدري ما الحقائق التي ستظهرها هذه القضية بعد ولكني هُدمت وأرغب بالإستسلام .. وجعي قد باح بضعفي وتكسرات روحي زادت حتى نسيتُ شكل روحي الأصلى من

كثرة الندوب داخلها ، وصل بنا القدر لباب المشفى مرة أخرى ولكن تلك المرة لستُ طريحة الفُراش ولكني مريضة فلم أنال العلاج منذُ ذلك الحين ، ترجلتُ من السيارة أسير ببطئ شديد حتى أتى لي مالِك وتحدث كثيرًا ولكني لم أسمعه أبدًا ولم أعي لأي صوت حولي فكأنما اختفى العالم .. خطوت بقدميّ داخل المشفى وسبقني مالِك ليذهب للمدير ثم سألتُ عن غرفة الأرشيف وأتت معي احدى الممرضات وأحضرت لي ملف تلك الليلة وتناولته برعشة من أناملي ثم خرجت وتركتني وظللتُ دقائق أنظر له بتيه ولم أقدر على استجماع شجاعتي وافتحه ثم أنقذني مالِك من ذلك التبعثر :

ـ لماذا لم تأتِ معي ؟ .. طبيب الولادة بالخارج هل نقابله ؟ ..

أشرتُ برأسي إيجابًا وخرجنا معًا ثم ذهبنا إلى مكتبه ورحب بنا :

الطبيب : ماذا تريدين أن تعلمي رحيل ؟..

ـ منذُ خمس سنوات .. أتيتُ للمشفى بحالة ولادة مبكرة في ابني والآن أريد أن أعلم هل كانت هناك حالات ولادة أخرى غيري ؟ ..

ـ هل يمكنك إعطائي الملف ..؟

أشار على الملف الذي أمسكته بقوة لأنني اخشى أن يختفي عني فاعطيته له وأخذ يقلب صفحاته :

الطبيب : هل قمتِ بأداء أشعة السونار وتأكدتِ أنه صبي ؟

ـ لا .. ولكنّ الممرضة أخبرتني أنه صبي وقد وُلد ميتًا ..

الطبيب : كان يوجد حالة ولادة أخرى لفتاة ولكنها كانت طبيعية وفي ميعادها وعلى الرغم من ذلك .. ظلّت الفتاة في حضّانة الأطفال لفترة طويلة ..

مالِك : كيف ؟ .. هل تلك الفتاة...؟

الطبيب : لا نعلم وليس بإمكاننا التأكيد دون دلائل ..

مالِك : مَن والدة تلك الفتاة ؟

الطبيب : لا نعلم ..

مالِك : لا تعلموا ..!

الطبيب : أتت في الإسعاف دون أحد وهربت بعد الولادة وتركت ابنتها ..

ـ وماذا فعلتم بالفتاة ؟

الطبيب : أرسلناها لدار أيتام (....) ولا نعلم شئ بعد ذلك .. ألا يوجد أي دليل تعلمي به ابنك ..؟

ـ لا يوجد أي شئ ..

ـ حسنًا .. يمكنكما إحضار عينة من الطفلة وسنقوم بتحليل وراثة ..

شكره مالِك ثم نهضنا وقبل خروجنا أوقفنا :

الطبيب : نمو الصبي المتوفي كاملًا .. لا يمكن أن يكون طفلك ..

غفران ابنتي إذًا ..؟ أم إنه فخ أُشتت داخله ؟ مرّ خمس سنوات ولم يندمل ذلك الجرح بعد بل يزداد تقرحًا حتى يكاد يصبح ورمًا خبيثًا لا علاج له ...

خرجنا من المشفى و استندتُ واقفة على السيارة ثم أتى لي مالِك بالقهوة وقال بسخرية :

ـ ماذا يحدث ؟

ـ قررت الحقائق الإستيقاظ فجأة من نومها ..

ـ هل تعتقدي أنها ابنتك ؟

ـ لا أعلم ولكن يستحيل ذلك الأمر .. أشعر أنه فخ كي نلتهي ولا نعثر على تميم ...

ـ وأنا أيضًا .. لن تصدقي تلك الخدع ...

ـ ولكن سنقوم بالتحليل .. هل يمكنك إحضار عينة من منزل غفران ؟

ـ بالطبع ...

ذهب مالِك وهممتُ أنا بالرحيل وأثناء قيادتي للسيارة تذكرتُ كاميرات المراقبة في المشفى فعُدت مسرعة وصعدتُ للمدير وأخبرته عن ضرورة رؤيتي لتلك التسجيلات وأرسل معي بعضًا من الأمن كي يبحثوا عن تسجيلات ذلك اليوم ومرّ حوالي ساعتان نظرًا لمرور خمس سنوات وتحدث معي مالِك وأخبرته أني سآتي عند الإنتهاء من البحث ثم أتى لي مَن كان يبحث معي وأعطاني ذلك القرص قائلًا أنه خاص بتلك الليلة وأخيرًا قام بتشغيله حتى رأيتُ قدوم امرأة في

الإسعاف وقد كانت حاملًا فقمنا بتثبيت الصورة عليها وتم توضيحها فلم ألبثُ من الإندهاش حتى قلتُ بصوت خافت :

ـ سارة ...!

هل هيّ والدة غفران ..؟ أم والدة ابني المتوفي ؟ ..

خرجتُ من المشفى وتحدثتُ مع سالم :

ـ قُم بالقبض على سارة بأسرع ما يمكن ..

ـ لماذا ..؟ .. هيّ تحت المراقبة ولم تفعل شئ ..

ـ هيّ والدة غفران ..

أغلق الهاتف موافقًا على كلامي وذهب لإخراج تصريح بالقبض عليها واتجهتُ أنا لمنزلها مسرعة حتى وصلتُ فحاولتُ التحكم بغضبي ورحبتُ بباب منزلها بعدة طرقات ففتحت لي والقلق وشاحًا على وجهها :

ـ هل حدث شئ ؟

ـ لا .. تحقيق روتيني ...

ـ ألم ينتهي التحقيق ..؟

ـ لا .. هل لديكِ مانع ؟

ـ لا .. تفضلي ...

دخلتُ المنزل وجلستُ على ما أشارت لي من المقاعد :

ـ منزلك جميل ..

ـ أشكرك .. هل استطعتم التوصل لأي شئ ؟

ـ لا .. لذلك جئتُ كي نحاول الضغط على عقلك قليلًا إن تذكرتِ شئ ..

ـ لن أتذكر شئ لأنه لا يوجد شئ لأتذكره ...

ـ هل يمكنني الحصول على ماء ؟

ـ بالطبع سأحضره لكِ ...

نهضتُ من مكاني أتفتل في أرجاء المنزل وأرى بعض اللوحات المعلقة و لمستُ الكثير من الأشياء كي أجعلهم ينشغلون بالتيه عن مكان وضعي لجهاز التنصت ثم أتت لي وبيدها الماء :

ـ هل أنتِ متأكدة أنكِ لا تعلمين أي شئ ؟

ـ للأسف نعم ..

ـ حسنًا .. أثق بكِ .. إن حاولت مريم التحدث معك أخبرينا على الفور لأنها خُطفت من قِبل الأشقر ..

ـ حسنًا سأخبركم ..

ألم يجد ذاك طارق شخصًا واحدًا يجيد التمثيل أو إتقان لغة الجسد ؟ أخبرتها بإختطاف صديقتها المقربة ولم تعير ذلك إهتمامًا ، خرجتُ لأبتعد عن منزلها بمسافة تسمح لي بمراقبتها وأنتظر صمتها أو خروجها من المنزل فبالتأكيد هيّ تعلم أنني وضعتُ جهاز التنصت فإن تصرفت وكأنها بريئة فهي أكبر المجرمين ، لم تخرج من المنزل أو تتحدث وبعد قليل عُدت لها عندما لاحظت حركة غريبة في المنزل فطرقتُ الباب فلم تفتح فدفعته بجسدي حتى كُسِر. فوجدتُ الكثير من الأشياء المكسورة على الأرض ثم شعرت بها من خلفي تمسك سلاحها جهتي وبغضب يغلي من عينيها :

- لا تحاولي التذاكي رحيل .. أنا أقوى منكِ فدائمًا ما كان يحاول رئيسي. مقارنتي بكِ وجعل مني نسخة مماثلة لكِ لأنه يراكِ قوية ولا يرى أني أقوى...

- من رئيسك .. طارق ؟

رفعتُ حاجبيّ وابتسمت بسخرية :

- لن أندهش بعد الآن ..

- لماذا لم تنهاري ؟ .. لا تيأسي ولا تضعفي .. لازلتِ تلاحقي كل ثغرة في العملية وهو لا يريد قتلك وحقيقةً لا أعلم السبب ..

- هل لتلك الدرجة أنتم عاجزون ؟ .. ظننتكم أقوى من ذلك ولكنني أتعامل مع اطفال ..

فردت ملامحها بغضب وشدت أجزاء السلاح و أحكمت مسكه :

ـ الآن ستري التعامل مع الأطفال ..

ضحكتُ بشدة جعلتها تندهش :

ـ خلفك يا صغيرتي ..

أتى سالم واضعًا السلاح على رأسها من الخلف وأثناء إستيعابها بذلك خطفتُ سلاحها منها :

ـ أقوى مني ولكنك لستِ أذكى ونصيحة مني .. كل ذكي قوي ولكن ليس كل قوي ذكي ..

رنّ هاتفها الملقي على الأرض فتناولته وأجبت :

ـ سارة لن تؤذيها فنحن بحاجتها الآن .. أعلمك غاضبة ولكن ذلك ليس الوقت المناسب .. سيتم التنفيذ غدًا و...

ـ لماذا ليس الوقت المناسب لقتلي ..؟

ـ رحيل ..!

ـ كان عليك قتلي عندما سنحت لكَ الفرصة ولكن فات آوان موتي الآن ..

ـ لن تؤذيها ..فهيّ صغيرة ..

ـ لا تحاول إستغلالي عاطفيًا ..

ـ لن تؤذيها ..

ـ إن لم تؤذي تميم ...

ـ حسنًا .. بعد غد سنبادل تميم بسارة ..

ـ لن أبادل تميم بتلك المعتوهة المغرورة ..

ـ ماذا إذًا ؟

ـ تميم وغفران وإيقاف تلك العملية وفي المقابل سأفكر بإعطائك سارة ..

ـ أتمزحين معي ؟

ـ ليتني كنتُ .. سالم ..

أطلق سالم الرصاص في الهواء فدوى في اذن طارق فغضب بشدة :

ـ المرة القادمة ستكون في رأسها ..

ـ لن تأخذي غفران إلا إن مالت السماء على الأرض

ـ إذًا سأجعل سماءك تسقط على أرضك ولن تميل فقط .. سآخذ كل ما أريد بما فيه انتقامي منك ..

ـ ليست ابنتك .. كان مجرد فخ لا أكثر كي لا تنخري وراءنا بخصوص العملية ..

ـ انتهى الأمر ..

ـ لم يكفيكِ موت أصدقائك وأعتقد أنكِ تريدي موت تميم الآن ..

ـ لن تقتله لأنك تعلم ما يمكنني فعله فليس أيامًا قضيناها معًا بل أعوام طويلة ..

أغلقتُ الهاتف بوجهه وقمنا بتكبيل سارة ولا أنكر أنها حقًا بارعت في القتال حتى استعطنا التحكم بها ثم أخرجها سالم للسيارة واعطاها منومًا كي تفقد الوعي وعاد لي :

ـ ماذا ستفعلين ؟

ـ سأبحث في المنزل فهيّ والدة غفران وإن كانت نور محقة فلا بدّ من وجود دليل هنا ..

ـ سأبحث معك ...

ـ لا .. ابتعد عن هنا وتأكد ان لا احد يراقبك وانا سأظل حتى أجد شئ ...

ـ المكان هنا خطير ..

ـ لا بأس ...

تحايل قليلًا حتى لا يتركني وحدي ولكني صددته حتى رحل وبدأت بالبحث عن أي دليل في كل مكان بالأسفل ثم اكملتُ بالأعلى حتى وجدتُ كتاب مذكراتها بجانب السرير وبدأت بالقراءة داخله حتى مللتُ يومياتها ثم :

" كان منزل رئيسي شديد الجمال في القاهرة الجديدة الذي اعتدنا الذهاب له في العُطلات وكلما اردنا الهروب من ضوضاء البشر ، كان بمثابة ملجأ راحة لنا و.."

أخرجتُ هاتفي واخبرت سالم أن يتفقد جميع كاميرات المراقبة في مدينة القاهرة الجديدة وفي الطرق المجاورة وأعطيته عنوان المنزل ولا أعلم لماذا شككتُ كثيرًا في ذلك المنزل حتى تسلل لي قلق غريب وخرجتُ من منزلها بعدما أكملتُ بحثي ولم أجد شئ ثم ركبتُ السيارة لأعود وأثناء قيادتي لاحظتُ تتبع سيارة لي فانعطفتُ من احدى الطرق حتى تأكدتُ أنها حقًا بداخلها مَن يراقبني فذهبتُ إلى طريق منعزل قليلًا وزدتُ من السرعة فجأة ثم ركنتُ السيارة وترجلت منها راكضة من طريق آخر حتى آتي من خلف سيارته فرأيته كان ثلاثيني أسمر طويل ويبدو أنه قوي فجئتُ من خلفه فشعر بي والتفت مسرعًا وتنهد عندما رآني وكأنه اطمأن أنها انا على الرغم من رفع سلاحي جهته ولكنه لم يبالي :

ـ هل تملك سلاح ؟

ـ أنا هنا لأساعدك ..

ـ هل تملك سلاح ؟

ـ نعم ..

ـ أخرجه والقيه أرضًا ولا تحاول التذاكي ..

ـ رحيل .. أنا حقًا هنا لأساعدك ...

ـ مَن أنت ..؟

ـ صديق تميم .. كان معي منذُ ثلاث سنوات وجئتُ عند علمي بأمر اقتحام القِسم وأخبرني أن أعطيكِ شيئًا إن كان في خطر ...

ـ ولماذا أصدقك ..؟

ـ اسـأليني أي شئ بخصـوص تـميم أو علاقتكمـا .. فتمـيم لم يملـك موضـوعًا كي يتحدث عنه طوال الثلاث سنوات إلاكِ ...

ـ هل يملك تميم شقيقة ؟

ـ نور .. صديقتك وعلمَ أنها حية قبل ست سنوات وبعدها بسنة تزوجتما ...

ـ أين والد تميم ؟

ـ خارج البلاد ولم يعد منذُ سنوات ...

ـ متى أمطرت القاهرة ثلج ..؟

ـ الثالث عشر من ديسمبر عام 2013 .. هل ستثقي الآن ؟

ـ لماذا كنتَ تتبعني ..؟

ـ كي أتاكد أنكِ لستِ غاضبة ..

ـ ماذا ؟

ـ إن ظهرت أمامك على غفلة لن تثقي بي .. ولكنك ستثقي إن أخرجتُ لكِ تلك ....

قالها مخرجًا من جيبه قلادتي الفضية التي أهداها تميم لي وقد أهديته بالمثل كان بكلاهما جهاز مراقبة ، تداخلت أعضاء جسدي عندما تذكرتُ أنه مازال يحتفظ بها وأنا لم أفعل ..!

ألقيتها في القمامة منذُ أربع سنوات فكيفَ وجدها ؟ .. ألم يتركني ؟ أخبرته أن يرحل ولكنه لم يفعل بل بقى من حولي هل شاهدني حينما تلويت من الألم ؟ هل راقبني حينما ناديته من جوف الماضي ؟ هل كان جانبي وقت ما توسلت للحياة بأن ترضى عني ؟ لماذا لم تظهر إذًا ؟ لماذا كنتَ بعيدًا وأنتَ تخلق مسافة لا داعٍ منها ؟ مسافة تجعل منا غرباء بعد أن كان بيننا كل تلك الكتب والقهوة .. أخبرتك أن ترحل فقط ولكني لم أعنيها وأنتَ رحلت في وقتها دون إعتذار وكأنك كنتُ تبحث عن فرصة لترحل عني وأخيرًا قد وجدتها ، إن بقيتُ معي لكنّا تخطينا تلك المرحلة ولكنت سامحتك حينها .. لكنتُ ..

لو تدري كم أحببتك وكم تمنيتُ أن تعود أثناء احتراقي لتطفئ النيران وإن لم تستطع لتحترق معي ولكنك عُدت حينما تحولت لرماد منثور على الأرض .. وتقول لي لنحترق ..!

تناولتُ منه قلادتى ذات لعبة الياسمين الفضية :

ـ أعطاها لي قبل أن يعود لكِ ..

ـ ما اسمك ؟

ـ مُعاذ ...

ـ أشكرك ..

ـ لا تشكريني ولكني سآتي معك ..

باتت عيناه تؤكد لي مدى عناده على البقاء فاشرتُ له رأسي بايجاب ثم عُدت للسيارة وذهبت للمنزل وكان يخلفني وعندما دخل بدأ بالتعرف على البقية ولكني لم املك الوقت فذهبتُ إلى الحاسوب الخاص وبدأتُ بمحاولة إلتقاط إشارة قلادة تميم التي من المفترض أنه لم ينزعها عن عنقه و كانت الإشارة مشوشة فأخذت وقتًا حتى وضحت اشارة مكانه فكانت في القاهرة الجديدة في المنزل الذي ذكرته سارة فبالتأكيد لم يعلم طارق أنّ سارة تكتب مذكراتها فلم يغلق تلك الثغرات التي من الممكن أن تسلل المعلومات لي منها ، قبل أن أخبرهم أنني وجدتُ المكان أتى لي سالم مرتبكًا :

ـ عارف محق .. يوجد حركة غريبة بأحد المنازل في ميدان المنشية ببور سعيد ..

ـ التقطتُ إشارة تميم ..

ـ كيف ؟

أتى ونظر في الحاسوب وملامح الدهشة حوله ثم ابتسم فرحًا ونادى على نور ليخبرها وسعد جميعهم وأتى لي مالِك :

مالِك : ما بكِ شاردة ؟

ـ سنفرح حينما نجد تميم ... سالم و مالِك و مُعاذ إن اراد ستذهبون إلى بور سعيد بعد إيصال نور إلى مكان آمن وأنا سأذهب إلى القاهرة الجديدة لتميم ...

نور : بالطبع لا .. لن تذهبي وحدك ...

ـ إيقاف المرحلة الثالثة من العملية أهم من حياة تميم ولذلك سيذهب الأغلبية لإيجاد الإنتحاريين ومنعهم من الوصول إلى الأماكن العامة وأنا سأذهب لتميم ..

مالِك : رحيل .. نور محقة ..

سالم : أنا أوافقها الرأي ...

ـ لن أذهب وحدي .. سأذهب مع فريقين من الأمن وأنتم كذلك ...

نـور : رحيـل .. أرجـوكِ .. ذاك المـنزل يبعـد بحـوالي سـبع سـاعات .. لا نسـتطيع إسعافك إن حدث شئ ..

ـ ماذا سأفعل إذًا ؟ .. هل أتركه ؟ ..

كانـت الإجابة الصمت مـن جميعهم فأدركـت أنه لا مفـر مـن الـذهاب ولم أخشى سوى عليهم :

ـ سأتحرك الآن ....

سالم : انتبهي جيدًا فلا نستطيع دونك ..

نور : إن حدث لكِ مكروه سأقتلك ....

قمتُ بتوديعهم ثم أخذتُ أشيائي وخرجتُ للسيارة فأوقفني نداء مالِك لي ثم أتى و وقف أمامي وكان الحزن باديًا عليه بشدة :

ـ هل سترحلي ؟

ـ سأعود ...

ـ أعلم أنني لستُ البطل وأنني لم ولن أنال حبك...

ـ لا تقول هذا..

ـ لا تقاطعيني .. لا أريدك معي لأنكِ لا تريدي إحزاني .. أعلم أنّ ما حدث كان له آثار جانبية شديدة السوء ولذلك بقيتُ هنا جانبك حتى تتعافي .. وقد تعافيتِ أخيرًا .. انا أحبك كثيرًا ولكن تلك معضلتي أنا .. لا تشعري بالذنب لأجلي فمنذُ البداية علمتُ أنني لستُ بطل القصة .. إن كان تميم يحبك مثل ما تفعلي فاذهبي له وان أحزنك فعُودي لي لأقتله .. أنا سأظل هنا وإن كففتُ عن حبك سأظل صديقك .. لا تشعري بالذنب اتجاهي أبدًا .. نحن أصدقاء على الرغم من كل شئ ..

نظر لي بإبتسامة رضا ثم مسك يدي وقام بخلع خاتم خطوبتنا منها وألقاه بعيدًا قدر ما استطاع :

ـ أنتِ حرة تمامًا مني ..

ـ إن كان لنا حياة أخرى سأحبك فيها ..

لم أستطع تخيل ما قد تشعر به فالحب أنهانا ونحن طرفان فما بالي بك ؟ .. أنتَ طرف واحد في علاقة بها اثنان ولم تشعرني أبدًا أنني لا أحبك على الرغم من أني لا أفعل ..!

الحب يجعل المرء يفعل ما لا يتخيل أنه قد يفعله يومًا ما فأتذكر زمنًا كنت أسخر به من الحب والأحباب حتى وقعت بموضعهم وها أنا أتلوى من لوعته ولا أعلم أين عليّ الرحيل ؟ .. لم يكن يجب عليه البقاء حتى الإنتهاء والذوبان .. كان يجب أن يهرب بعيدًا ويتركني ولكنه لم يقوى على الهجر ..

رحلتُ وتركته وأنا أفكر في كيفية الإيثار الذي ينعم عليه المحب وأنا لا أجد سبب يقنعني عن كم تلك التضحيات التي تُقام في سبيل الحب بكل نفسٍ راضية ...!

بدأ الطريق وأنا أحاول الإسراع كي أراه بخير وداخلي يؤلمني بشدة ، مرّت ساعات حتى وصلتُ حوالي الحادية عشر وتحدثتُ مع نور كي أطمئنها وانتظرت قليلًا حتى أتى الدعم ونزلنا متسللين بعد أن تمّ إخلاء جميع السكان في تلك المنطقة تحسبًا لأي إشتباك قد يحدث .. حينما اقتربنا من المنزل كان يجب عليّ الدخول وإحضار تميم وغفران قبل بدء الإشتباك فتنفستُ كعادتي وبدأت أتفحص أرجاء المكان وتأكدت من وجود القلادة قبل أن أدخل ، كان المنزل بحديقة خلفية ومسبح وذات سورٍ عالٍ فقمتُ بمحاولة القفز عاليًا حتى مسكتُ السور وبدأتُ برفع جسدي لأعلى وأخذتُ ثانيتين حتى انتقلتُ للطرف الآخر وقفزتُ لأسفل واختبأتُ خلف أحد الأشجار ونظرتُ على باب المطبخ الخلفي فكان مفتوحًا ولكن يوجد حارسان أمامه فكما فعلت من قبل أطلقتُ عليهم بسلاحي ذي الصوت المكتوم وتسللتُ بهدوء حتى دخلتُ من باب المطبخ ثم شعرتُ بأحدهم يأتي فاختبأتُ أسفل الطاولة فكانت مريم وعندما كانت واقفة خرجتُ أنا بهدوء من خلفها واقتربتُ واضعةً يدي على فمها كي لا تصرخ وبيدي الأخرى وضعتُ السلاح في رأسها :

- لا أريد إيذاءك .. حقًا .. إياكِ والصراخ ..

كانت خائفة بشدة ثم خرجتُ وأنا أكبلها وهيّ تحاول المقاومة ولكنها تعجز فكان الأشقر يجلس مع طارق ومعهما أحد آخر يتحدثون وعند رؤيتي هكذا وقفوا جميعهم وأخرجوا أسلحتهم اتجاهي :

الأشقر بتوتر وخوف : لا تعلمي ما يمكنني فعله .. اتركيها ..

ـ وأنت لا تعلم ما يمكنني فعله ..

طارق : ماذا تريدين ..؟

ـ أنتَ خير مَن تعلم ما أريده ..

طارق : غفران ليست ابنتك ..

ـ غفران وتميم الآن ودون أن يتم أذيتهم ..

طارق : لا تهمني مريم ..

الأشقر : ماذا ؟ .. كيف لا تهمك ؟ .. انها ابنتي ..

أطلق طارق النيران على مريم و وقعت مغشيًا عليها من بين يدي والأشقر يصرخ :

الأشقر : لن تُعاقب ابنتي على اخطاءك ..

قالها وحرك سلاحه من جهتي لجهة طارق وأنا أقف في حالة إندهاش ثم حاول ذلك الغريب التحدث فأطلق عليه طارق ثم قال للأشقر :

ـ لن أضيع وقتي بذلك الهراء ..

أطلق النار عليه أيضًا وأنا لم أفهم كيف في ثوانٍ بثُ أقف مع ثلاثة جثث على الأرض ولستُ الفاعلة ، نظر لي بعد أن ألقى سلاحه أرضًا وقال بإستعجاب :

ـ لماذا أتيتِ الآن ..؟ هل اعجبك ما حدث ؟ ..

رفعت سلاحي الذي أخفضته أرضًا تجاهه :

ـ أين هما ؟

ـ بربك .. فعلتُ هذا بصديقيّ وشابة في العشرين .. هل سأعفو عن تميم ؟ ..

ـ سارة بحوزتنا ...

ـ لا تبقى تلك المدة معكما .. لا بدّ أنها هربت .. انها مثلك لا تبقى في مكان مرغمة عليه ..

ـ لا تتخيل ما يمكنني فعله ..

ـ بلى .. أتخيل ولذلك لم أؤذيكِ .. يمكننا العمل سويًا سنكون أقوياء وسنملك السلطة .. لن يفيدك الوفاء لبلدك ...

ـ هل تعرض عليّ العمل معك ...!

ـ نعم .. فهذا طلبي الوحيد كأباكِ ..

ـ أبي! .. لستُ أبي ومهما فعلت لن أصدق ذلك

ـ ولكني أحبك حقًا وأريد تعويضك عن كل ما جرى

ترددت كلمات تميم في رأسي (هو الجاني والمخطئ فلا ترأفي به) :

ـ وجودك في الحياة خاطئ ..

أحكمتُ القبض على سلاحي :

ـ هل أنتِ متأكدة ؟

ـ .....

ـ الآن ..

قالها ناظرًا لأحدهم خلفي وقبل أن أفهم لم أشعر سوى بضربة على رأسي ثم سواد وفتحت عيني على صراخ أحدهم بإسمي ورأيتُ بصعوبة تميم متكبلًا أمامي وعلى وجهه جروح فبدأتُ بالإدراك وحاولتُ النهوض فوجدتُ أنني مكبلة أيضًا ثم ضحك وقال :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ هل تسخر مني ؟

ـ شعرك مبعثر ...

ـ تميم ..! .. لا أصدقك ..

ـ هل أنتِ بخير حقًا ؟

ـ نعم .. وأنت ؟

ـ أتنفس ..

ـ ما الذي في وجهك ؟

ـ هل سيئًا للغاية ؟

ـ يبدو وكأن أحدهم رسمَ لوحته على وجهك ..

ضحك ثم قال بحزن :

ـ لماذا أتيتِ ؟

ـ ليس من أجلك ..

ـ من أجل ماذا ؟

ـ القضية ..

ـ يادي النيلة عليا وعلى القضية ..

ـ كيف تسخر في تلك الحالة ؟

ـ ألا تكفي جديتك قاحلة السواد ؟ .. كيف علمتِ مكاني ؟

ـ قلادة الياسمين ..

ابتسم ولمعت عيناه :

ـ هل قابلتِ مُعاذ ؟

ـ نعم .. منذُ متى وأنا هنا ؟

ـ عشر دقائق ..

ـ عشر دقائق ..!

ـ نعم .. لربما كنت سأستمتع بمراقبتك برومانسية ولكن شعرك المبعثر لم يساعدني ..

ـ سيبدأ الإشتباك بعد قليل ....

ـ اللعنة ..! .. أي إشتباك ؟

قبل أن أجيبه دخل علينا طارق :

طارق : لم ترغبي بالعمل معي وذلك السبب الوحيد الذي كنتُ أبقي على حياتك لأجله ..

تميم بغضب : أقسم لكَ إن حاولتُ..

طارق : لا داعٍ للغضب .. لن تراها تموت على كلٍ فأسوأ ما أعلمه عنها أنها لا تخشى الموت ولكنها تخشى فقدان أحبتها ... أحضروها ..

دخل أحدهم حاملًا غفران الفاقدة للوعي ووضعها جانب تميم فقلقتُ بشدة عند رؤيتها :

ـ ماذا فعلتُ لها ؟ .. ماذا فعلت ؟ ..

طارق : لا تصرخي .. لم تمت .. ما رأيكم في إعادة تلك الليلة ..؟

تميم بصراخ : كيف ؟ .. هل تعلم تلك الليلة ؟ .. كيف تعلم ؟..

أخرج طارق سلاحه و وجهه جهة تميم وغفران :

طارق : رحيل .. عليكِ إختيار أحدهما كي يموت أولًا ...

ـ لا تفعل .. لا تفعل ذلك ..

طارق : اختاري الآن حتى لا أختار أنا ..

ـ لا يمكنك فعل ذلك ..

ابتسم وشدّ أجزاء السلاح :

طارق : حتى انني فعلت ..

ـ انتظر ..

نظرت لتميم فكان يبتسم أثناء بكاؤه ويحذرني :

تميم : إياكِ وإختياري .. إياكِ .. لن أسامحك ..

هل كان الإختيار بتلك الصعوبة في الماضي أيضًا تميمي ؟ .. كان جسدي باردًا ولا يدفئه سوى دموعي الراكضة بسرعة على وجنتيّ وأنظر له وأنا آمل أن يتجمد الوقت ولا اضطر للإختيار بينهما حتى أيقظتني صرخة :

طارق : لن تستطيعي الإختيار .. أختار تميم ..

ـ انتظر .. أريد أن أعلم شيئًا ..

حاولتُ كبح دموعي ونظرتُ لتميم :

ـ ماذا كنت ستخبرني قبل أن نفترق ؟

تميم : أعتذر ولكني وقعتُ بحبك مجددًا ...

طارق : يكفيني ذلك القدر ..

حينما كاد يطلق دخلت سارة للغرفة :

سارة : لحظة ..

طارق : سارة ! .. كيف أتيتِ ؟

سارة : سأخبرك فيما بعد .. أريد أنا إيلامها .. هل يمكنك إعطائي السلاح ؟ ..

هل تتسابقون على مَن سيقتله ؟ إن كان لا مفر من موته اليوم لأقتله انا إذًا مثلما وعدته ، تناولت سارة السلاح و وجهته جهة تميم ثم نظرت لي وغيّرت اتجاه السلاح فأصبح في جهة طارق فتسللت الدهشة في وجهه وبإستغراب طغى على الغرفة :

طارق : هل ستقتليني ؟ .. أنا رئيسك ..

سارة : أنتَ والد لمطامعك فقط ..

أطلقت النار عليه ولكنها لم تقتله ثم أتت تجاهي وبدأت بفك قيدي :

سارة : مرحبًا .. هل أنتِ بخير ؟

ـ ما الذي يحدث ؟ .. من أنتِ ؟ ..

نهضت من جانبي بعد أن فكّت قيدي وذهبت لتساعد تميم وعندما فعلت أتى لي تميم و وضع وجنتيّ بين يده :

ـ هل أنتِ بخير ؟

ـ ما الذي يحدث ؟

ـ جسدك شديد البرودة ..

بدأت صورته تتشتت من أمامي وبدأ قلبي بمسارعة نبضاته وكأنه في سباق حتى شعرتُ أنه سيتوقف ثم زاد صداع رأسي الذي بدأ منذُ الصباح ولكني تجاهلته حتى فقدتُ كل حواسي ولا أذكر سوى صُراخ تميم ثم لا شئ .....

****

" وقعتُ في حبك للمرة الألف بإرادتي "

تصميم

تلك التفاصيل المتعلقة بك التي لا تثير الريبة ولا تلفت الإنتباه .. هيّ أكثر ما أحببته بكِ يومًا .. وكيف لي أن لا أحبك ؟ .. فشخصيتك المتناقضة بالحنان المغلف بالقسوة وروحك المتحررة سجينة الحياة وإصرارك الدائم وعزمك على إدّعاء الجمود وقلبك ذي ألوان الطيف .. من اجمل ما يُمكن أن ترى العيون يومًا ...

كان جسدها بارد بشدة فأدركتُ أنّ معدل السكر انخفض في دمها فأخبرتُ سارة كي تبحث عن أي شئ يحتوي على نسبة سكر فلم تجد فاضطررتُ بالذهاب بها مسرعًا لأقرب مشفى وأخبرتُ الطبيب عن حالها فبدأ يحاول إعادة نسبة السكر إلى طبيعته حتى نجح ولكنها دخلت في غيبوبة سكر فقط لأنها لم تنتبه على صحتها ثم طمأنني الطبيب أنها ستعود لوعيها قريبًا طالما عاد معدل السكر لطبيعته وأنّ استجابة جهازها العصبي سريعة ولذلك هدأت نفسي قليلًا وذهبتُ مع أحد الممرضات كي تضمد لي جروحي وبعد أن انتهيتُ عُدت لأجد سارة تنتظرني أمام غرفة رحيل بقلق :

ـ مرحبًا .. هل هيّ بخير ؟ ..

ـ أولًا .. هل يمكنك تبرير ما حدث ..؟

ـ ألا تتذكرني ؟

ـ هل يجب عليّ تذكرك ؟

ـ أنتَ عميل بالمخابرات المصرية ..

ـ لستِ مميزة لأنك تعلمين ذلك .. ففُضح أمري منذُ زمن ...

ـ حسنًا .. أنا عميلة أيضًا في المخابرات المصرية وتمّ تجنيدي منذُ سنتين ...

ـ أتمزحين ؟

ـ إن لم تصدق يمكنني إخبارك بإسم الضابط الذي تجندتُ على يده ..

ـ لا داعٍ .. أصدقك ...

ـ هل رحيل بخير ؟

ـ غيبوبة سكر وستستيقظ منها قريبًا .. لماذا ادّعيتُ أنني أفقدت نفسي. الوعي في المشفى ؟ ...

ـ كي أشتت طارق .. أي أبي لأنني أعلم أنه المسئول .. الملف الأحمر الذي أخذته من غرفة الأرشيف كان فارغًا وتركتُ لك كل المستندات والأوراق المهمة ملقية على الأرض كي يراها أحدكما ولكنكما لم تنتبها واضطررتُ للهروب حينها بسبب الحارس الذي أرسله لي أبي ولكن أثناء ركضي. من رحيل أبطأتُ من سرعتي كي تضع رحيل الوحدة المصغرة من جهاز المراقبة ..

ـ لكنني لم أراكِ أثناء عملي كجاسوس مع الأشقر ..

ـ لم يريدك أبي أن تراني .. الأمر بأكمله كان تحت رعاية أبي وكان يوصل إليكم المعلومات التي يريدها حتى أخيرًا تركتُ لكَ الملف الذي يثبت إتهام الأشقر بعملية الأمس والذي أرسلته للقِسم كي يتمكنوا من القبض عليه وللأسف قاموا بمسح معلومات العملية قبل وصول رحيل وسالم .. لم يراني أحد منكم سوى أبي حتى

الأشقر لم يراني سوى قبل القبض عليه بيومين كي نضع خطة بديلة وهيّ أنّ مريم صديقتي وكان بينها وبين عزيز قصة حب رائعة والحقيقة هيّ أنّ مريم وعزيز وعارف أشقاء وغفران لا تمتُ لهم بصلة ..

ظلّت معي قليلًا ثم عادت للمنزل كي تُشرف على نقل الجثث والقبض على بعض الحراس وتأكدت من ذهاب طارق للمشفى كي يُعالج تحت حراسة فريق كامل ومرّت عدة ساعات حتى استقرت حالة رحيل فنقلتها لمشفى آخر كي نعود للقاهرة ثم في عصر اليوم التالي أثناء جلوسي بجانب رحيل في غرفتها أتت نور وقامت إحتضاني وسألت عن حالي وحال رحيل :

ـ غيبوبة سكر ولكن يوجد استجابة من جهازها العصبي .. أخبرني الطبيب أنها ستستيقظ في غضون أيام ...

ـ ماذا حدث ؟

أخبرتها ما حدث في ذلك الوقت :

ـ سارة عميلة بالمخابرات ..!

ـ نعم .. ألا تعتقد أنّ الأمر شديد الغرابة ..؟ ..

ـ لربما لم تكن قضية فقط .. بل رأفة القدر بنا ليظهر لنا كل ما حدث في الماضي ..

ـ مالِك وسالم ومُعاذ .. قاموا بالقبض على الإنتحاريين وفسدت المرحلة الثالثة من العملية ..

ـ لتستيقظ رحيل وحينها فقط سيكون كل شئ على ما يُرام .. متى سيعودون ؟

ـ فجر الغد .. ماذا ستفعلون بخصوص علاقتكما ؟

ـ طلبتُ من القدر أن يهدي لي لحظة جميلة لتكون الأخيرة معها ولكنه أعطاني الكثير من اللحظات ولذلك سأنتظرها تستيقظ وسأرحل ..

ـ مجددًا ؟

ـ في المرة الأولى هيّ من طلبت مني الرحيل ..

ـ ولكنها لم تعنيها .. وجب عليكَ حينها البقاء معها واحتواءها فلك تكن سوى لحظة غضب من أم فقدت ابنها ولكنك ماذا فعلت ؟ ... أجبتها كما تريدين .. على راحتك .. تلك العلاقة كانت لكليكما ...

ـ لا نجوز معًا .. هيّ لا تريدني وإن كانت تحبني فالحب وحده لن يتمكن من بناء علاقة بجانب أنها الآن مع مالِك وأعتقد انه يحبها .. لا تستطيع ترك مالِك الذي كان بجانبها دائمًا من أجلي أنا الذي آذيتها ..

ـ ألا تحترق روحك عند قول ذلك ؟

ـ النار بداخلي تحرق مدينة بأكملها ..

ـ لا أقدر على إخبارها أنك سترحل ..

ـ هيّ تعلم أنني سأرحل عند انتهاء القضية .. لن يخبرها أحد ...

ـ ستموت يومًا من ذلك الحب ..

يبدو أنها شعرت برغبتي في الرحيل عن العالم أجمع ولكني حاولتُ الإخفاء بقدر ما استطعتُ ، أتذكر قبل سنوات قول أحدهم لي " المرء لا يعيش على قيد الحياة " لم أفهم مبتغاه ولم أهتم ولكنك عندما هجرتيني أيقنت أن المرء لا يعيش على قيد الحياة بل يعيش على قيد أحبته .. عزيزتي أنتِ الحياة وانا أعيش على قيدك أنتِ ...

****

(بعد مرور أسبوعين)

تجلس رحيل مع سالم ونور في إحدى الكافيهات ذي الإطلالة وتشرب قهوتها متأملةً في الفراغ :

نور : ألن نحتفل ..؟

رحيل : بماذا ..؟

سالم : رحيل .. أعتقد أنكِ لم تنتبهي لترقية كلانا منذُ قليل ..

رحيل : احتفلوا أنتم إن أردتم ..

نور : هل تشعري بالوهن ؟

رحيل : لا .. أنا ذاهبة ..

سالم : لا تذهبي .. أين ستذهبين ؟ .. انتهت القضة ومحاكمة طارق بعد أيام ..

رحيل : يجب عليّ التحدث مع سارة ..

نهضت رحيل وتنهدت نور غضبها وركضت لتوقفها :

نور : ما بكِ ..؟

رحيل : ليس بي شئ ..

نور : هل أنتِ بتلك الحالة لأجل إكتشافك عائلتك أم بسببه ؟

رحيل : لا يهمني أبدًا ..

نور : استيقظتِ منذُ يومين ولم تسألي عنه ..

رحيل : لا يهمني حقًا ..

سارت رحيل عنها وذهبت لترى سارة كي تسألها شيئًا اخيرًا قبل ذهابها فالقضية قد انتهت ولكن الحقائق المخفية لم تنتهي بعد فكل ما كان يتردد في عقلها هو سؤال واحد " ماذا حدث في تلك الليلة ؟ "

****

يقبع تميم داخل الفراغ منزويًا على روحه و رافضًا لكل طرق الحياة ، كان جالسًا على الرمال يحاول أن يجد سببًا كي يحيا لأجله حتى جاءت أسيل وجلست بجانبه :

ـ لا تفكر في الإنتحار .. أليس كذلك ؟

ـ يوجد الكثير من الطرق للموت غير الإنتحار ..

ـ تميم ..!

ـ لم تفي بوعدك .. حاولتُ للمرة الأخيرة ولم يحدث شئ وكنتِ ستقتليني.....

ـ تذكرتُ ما حدث في تلك الليلة ...

ـ لن يفيد ذلك الآن ...

ـ بلى ... سيفيد ..

ـ ماذا حدث في تلك الليلة ..؟

ـ قابلنا العميد طارق وسارة في تلك الليلة وكانت سارة حاملًا في الشهر التاسع وأخبرني مالِك أنّ سارة تمت ولادتها في نفس الليلة أيضًا ..

ـ الجميع يعلم ذلك وأنّ غفران ابنة سارة وتمت ولادتهما في نفس اليوم والمشفى وكل ذلك من فِعل طارق ... ما الجديد اذًا ؟ ..

ـ أعتقد أنه يجب عليكَ العودة للقاهرة ..

ـ بالطبع لن أفعل ...

ـ طفلكما لم يكن صبيًا .. كانت فتاة وهيّ حية ... يجب عليك العودة ....

****

ذهبت رحيل لمنزل سارة فلم تراها منذُ أسبوعين وعلمت الحقيقة برمتها من نور وسالم و مالِك وهيّ عازمة على معرفة تلك الحقيقة مهما كانت مؤلمة فلم يعد لديها ما تخسره ، قابلتها في الردهة فابتسمت سارة ورحبت بها :

ـ كيف حالك اليوم ؟

ـ بخير .. ماذا عنك ؟

ـ بخير تمامًا ...

ـ سارة .. يوجد أمر يجب أن أعلمه ..

ـ بالطبع .. سأخبرك بكل ما تريدين ...

ـ قبل خمس سنوات .. في تلك الليلة ..

ـ تم تخطيط الحادثة من قِبل رئيسي .. كان يجب عليه أن يأخذ طفلينا في نفس الوقت وكنتِ في شهرك السابع ولذلك قام بالكذب على أهل أسيل ...

ـ كذب على أهل أسيل ! .. ألم يخني تميم ؟ ..

ـ بالطبع لا .. تميم لم يكن مع أسيل كل تلك الساعات .. فقط بقى معها أقل من ساعة دون تحدث .. لم يقم بخيانتك .. كذب على أسيل ..

ـ هل كنتِ حاملًا بصبي أم فتاة ..؟

ـ صبي .. لماذا ..؟

****

عاد تميم مسرعًا إلى القاهرة بكل ما استطاع من قوة وهو يفكر فيما سيقوله أو ما سيسأله ولكنه لم يهتم بأي شئ سوى ما قالته أسيل فهو خير مَن يعلم أنها لن تكذب بخصوص ذلك الأمر ، وصل إلى منزل رحيل وبدأ بإطراق الباب بشدة ولكن كانت الإجابة الصمت فانتظر قليلًا حتى أتى أحدهم :

ـ مرحبًا .. هل العقيد رحيل هُنا ؟

ـ لا ..

ـ متى ستأتي ؟

ـ لا أعلم .. مَن أنت ؟

ـ أعمل ممرضًا في مشفى (****) ويجب عليّ إعطاءها نتيجة التحليل ..

ـ أي تحليل ؟

ـ أعتذر .. لا يمكنني إخبارك لسرية الأمر .. يجب إخبارها هيّ أو زوجها ..

ـ أنا زوجها ..

ـ حسنًا .. يمكنك استلام النتيجة ..

اعطى له ملفًا وذهب وبدأت التساؤلات تعوي قليلًا بعقل تميم حول أهمية سرية ذلك الملف فبقى عليه قليلًا حتى ينتظرها وبقى حتى حلّ الليل وتمكن منه الملل و بدأ بفتح ذلك الملف وأخرج منه تلك الورقة المكتوب في اعلاها أنه تحليل وراثة فبدأت أعضاؤه تتداخل رويدًا رويدًا وبدا الأمر وكأنّ الوقت تجمد بالنسبة له عندما قرأ أنّ الحمض النووي متوافق بنسبة 97 % وهنا بكى بحُرقة وسقط أرضًا غارقًا في حسرته ....

(النهاية)

تتخفى السعادة بين سطور الحزن فلا أحد يملك حياة مُلونة ذي رائحة الياسمين دائمًا فلا بدّ أن تتخللها رائحة المرارة اللاذعة حتى تُسمى بحياة ..!

مَن يصبر ينل ومَن صبر نال فالقدر عادل في توزيع المشاعر فكلٍ سيأخذ نصيبه من الحزن والسعادة على حدا ، يُعامل الجميع بسواسية وخاصةً في الحب والسعادة والحزن ....

يقف تميم بجانب رحيل وينظرا من الغرفة الزجاجية الشفافة التي تجلس خلفها غفران وتلعب بإحدى الدمى :

ـ هل تذكري إتفاقنا ؟

ـ أي إتفاق ؟

ـ شروط مسامحتك لي ..

ـ هل تمّ إعادة تلك الليلة ؟

ـ نعم ..

ـ هل مسكنا يدا بعض وسقطنا في القاع مجددًا ؟

ـ نعم ..

ـ هل عاد الراحل ؟

ـ يلعب أمامنا الآن ..

ـ هل توافرت فرصتي لأكون أم مرة أخرى ؟

ـ نعم ... هل تمت مسامحتى ؟

ـ ليس بعد .. لم تمطر سماء القاهرة ثلجًا ...

ـ هل ذلك هو العائق الآن ؟

ـ أسامحك .. تميمي ..

ـ إذا هل تغفر الخيانة ؟

ـ أنتَ لم تقم بخيانتي ولم ترحل تمامًا .. أما عن الخيانة فهيّ ذنب لا يُغفر ..

ـ ماذا عن الفرصة الثانية ؟

ـ كم أنتَ طمّاع ؟

ـ مَن يحب يطمع ...

(بعد مرور سبع سنوات)

صرخة تهز البيت ويركض الجميع لمصدر الصوت بفزع ليظهر أنّ (يامن) أخذ اللعبة من أخته الصغيرة (فيروز) فتتنهد رحيل بشدة لقلق الأم الذي طغى عليها بينما يضحك الجميع على تفاهة الموقف الذي لم يستدعي القلق بينما يذهب تميم لتهدئة الأوضاع :

تميم : ماذا حدث ..؟

يامن : كسرت لي سيارتي فاخذت منها لعبتها ..

تميم : فيروز .. هل كسرتِ له سيارته ؟

فيروز : لم أقصد .. أعتذر ..

أتى صوت نداء من الأسفل :

غفران : أمي ..

نزلت رحيل لأسفل لترى ابنتها الكبرى فكانت تنظر من الشرفة بإبتسامة عريضة :

رحيل : ماذا حدث .. صغيرتي ؟

غفران : السماء تمطر ..

رحيل : وما المميز ؟ .. كالعادة تمطر ..

غفران : تمطر ثلج ..

ركضت الفتاة مسرعةً لترتدي حذاءها وتخرج :

غفران : أبي .. تمطر سماء القاهرة ثلج .. يبدو أنّ أمي ستسامحك اليوم ..

نـزل تـميم مـن الأعـلى مـع فـيروز ويـامن وركضـا كلاهمـا ليخرجـوا ويلعبـوا مـع شقيقتهم في الثلج خارجًا في حين أنّ تميم اقترب من رحيل وقال ساخرًا :

ـ هل استحق فرصة ثانية الآن ؟

ـ سأفكر في الأمر ...

تمت بحمد الله

❋

تتعالى داخلي كل مشاعر الشكر والإمتنان لكل من ساهم يومًا في بناء شخصيتي وإن كان بالسوء بدايةً من أسرتي وأشقائي بالروح حتى السيدة العابرة بالطريق وبائع الورد .....

وأعتذر من أعماق روحي لكل نادم قرر المجئ بعد فوات الآوان وإنتهاء كل وسائل الرحمة وأريد إخبارك انّ الفرصة تركض لمن يستحقها ...

قارئي .. أرجو أن تصف لي مشاعرك ورأيك وإن كان لكَ إنتقاد بنّاء لا بأس به ..

للتواصل :

الفيسبوك :

https://www.facebook.com/hassan.mi.3

الانستجرام :

/ https://www.instagram.com/nancykhaled4